دراسات عالمية



الثقافة الاستراتيجية الإيرانية والردع النووي

جنيفر كنيبر وأندرو تيريل



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

العدد 88

الثقافة الاستراتيجية الإيرانية

والردع النووي

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

أنشئ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبوظبي بتاريخ 14 آذار/ مارس 1994، كمؤسسة بحثية مستقلة تعنى بدراسة القضايا الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعلوماتية، التي تهم دولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي خصوصاً والعالم العربي عموماً، ومتابعة أهم المستجدات الإقليمية والدولية.

وفي إطار التفاعل الثقافي والتعاون العلمي، يصدر المركز سلسلة **دراسات عالمية** التي تعنى بترجمة أهم الدراسات والبحوث التي تنشر في دوريات عالمية مرموقة، وتتصل موضوعاتها باهتمامات المركز العلمية، كما تهتم بنشر البحوث والدراسات بأقلام مشاهير الكتاب ورجال السياسة.

ويرحب المركز بتلقي البحوث والدراسات المترجمة، وفق قواعد النشر الخاصة بالسلسلة.

دراســات عــالميــة

الثقافة الاستراتيجية الإيرانية والردع النووي

جنيفر كنيير وأندرو تيريل

العدد 88

تصدر عن



مركــز الإمارات للدراسـات والبحـوث الاسـتراتيجيــة

محتوى الدراسة لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

This is an authorized translation of the two articles entitled "Nuclear Weapons and Iranian Strategic Culture" by Jennifer Knepper, published in *Comparative Strategy* 27 (2008): 451-468; and "Deterrence in the Israeli-Iranian Strategic Standoff" by W. Andrew Terrill published in *Parameters* (Spring 2009): 81-94. The ECCSR is indebted to the authors and to the publishers for permitting the translation, publication and distribution of these works under its name.

الطبعة الأولى 2009

ISSN 1682-1211

النسخة العادية ISBN 978-9948-14-226-3

النسخة الإلكترونية ISBN 978-9948-14-227-0

توجه المراسلات باسم رئيس تحرير سلسلة **دراسات عالمية**

على العنوان التالي:

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص ب: 4567

أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: +9712-4044541

فاكس: +9712-4044542

E-mail: pubdis@ecssr.ae

Website: http://www.ecssr.ae

المحتويـات

الأسلحة النووية والثقافة الاستراتيجية الإيرانية

جنيفر كنيبر

مقدمة

لم يكن الرئيس جورج بوش (الابن) متصنعاً في كلامه، عندما عبر في المؤتمر الصحفي عام 2007، عن رأيه في أن إيران إذا تسلحت نووياً فإنها:

> ستشكل تهديداً خطيراً للسلم العالمي... لدينا زعيم في إيران يعلن أنه يريد أن يدمر إسرائيل؛ ولذلك أخبرت الشعب أنكم إن كنتم ترغبون في تجنب نشوب حرب عالمية ثالثة، فمن الضروري أن تهتموا بمنعه من امتلاك المعرفة اللازمة لصنع سلاح نووي.[1]

إن أمثال هذه التصورات عن إيران، تلقى قبولاً واسع النطاق في جميع أنحاء الغرب؛ ويعود ذلك بصورة رئيسية إلى تصرفات إيران داخل المجتمع الدولي؛ ففي عام 1987، أعادت سراً برنامجها النووي خارج حدود الوكالة الدولية للطاقة الذرية،[2] وكذبت مرات عدة بشأن سير العمل فيه، وكانت الراعي الأكبر للإرهاب ضد إسرائيل، وأحياناً ضد الولايات المتحدة الأمريكية،[3] وقد ارتفع مستوى الخطاب ضد الولايات المتحدة وإسرائيل منذ انتخاب الرئيس محمود أحمدي نجاد عام 2005،[4] ولكن على الرغم من هذه التصرفات، نتساءل: هل الحال بالضرورة هي أن امتلاك إيران أسلحةً نووية سيكون سبباً للحرب العالمية القادمة، كما يعنيه تصريح بوش ضمناً؟ وهل يمكن أن يكون هناك أسباب أخرى استراتيجية، وأكثر إلحاحاً تدفع إيران إلى السعي لامتلاك الأسلحة النووية،[5] غير تطوير قدرات نووية هجومية لتدمير إسرائيل؟

ثمة أساس مهم لتحليل مثل هذه المضامين والتساؤلات، يُمثِّل بالنظر إلى ثقافة إيران الاستراتيجية؛ فالثقافة الاستراتيجية لدولة ما، تعد منطلقاً حيوياً لفهم الأعمال والقرارات الممكنة لتلك الدولة؛ لأن الثقافة الاستراتيجية هي «الإطار المنطقي الذي تناقش الدولة

ضمنه الأفكار الاستراتيجية، وتكمل صوغ قراراتها الدفاعية».[6] إن الثقافة الاستراتيجية – بعبارة عامة – لبلد ما، هي «منظومة عقائده المشتركة، وفرضياته، وأنماط سلوكه، المستمدة من تجارب مشتركة وروايات مقبولة، تسهم في صوغ هوية جماعية وعلاقات بالجماعات الأخرى، وتحدد الغايات والوسائل المناسبة لإنجاز الأغراض الأمنية».[7] وعلى الرغم من امتلاك إيران تراثاً تجاوز عمره 2500 عام من الفكر الاستراتيجي،[8] فإن العناصر الأربعة لثقافة إيران الاستراتيجية التي تمس أكثر ما تمس، توجهها نحو امتلاك أسلحة نووية، هي كما يأتي:

1. اعتقاد شامل بالإسلام الشيعي؛ بوصفه أساساً وطيداً للشرعية السياسية للنظام، والهوية القومية للبلاد.

2. اعتقاد قومي مبالغ فيه بمركز إيران الشرعي؛ بوصفها زعيمة للحضارة الإسلامية، من حيث هي جهة إقليمية مهيمنة.

3. إحساس عام بمكمن الضعف، والتعرض للهجوم الخارجي والهجوم الداخلي.

4. إدراك متأصل بأن الولايات المتحدة الأمريكية ترغب في الهيمنة على الحضارة الإسلامية وتدميرها في نهاية المطاف.

تذهب هذه الدراسة إلى أن الثقافة الاستراتيجية لإيران تدل على أنه من غير المحتمل أن تستخدم الأسلحة النووية لأغراض هجومية؛ بسبب خوفها من الانتقام وإعاقة المصالح السياسية داخل النظام، والواقع أن اندفاعها نحو امتلاك أسلحة نووية سيزود إيران برادع دفاعي سيعزز رغبتها في الهيمنة الإقليمية، والتقليل من إحساسها الغامر بعدم الأمن.

الأساس الوطيد المُمثّل بالمذهب الشيعي

إن أهم ما يميز الثقافة الاستراتيجية الإيرانية التزامها الشامل المذهبَ الشيعي، وهو مذهب إسلامي مضى عليه ألف عام، وتتبعه أقلية في العالم الإسلامي، تؤمن بأحقية آل البيت النبوي بالخلافة الدينية والخلافة السياسية، وترفع لواء تراث الشهادة والتضحية،[9]

في وجه المعارضة. وقد استحوذ المذهب الشيعي على الأمة أولاً؛ بوصفه انعكاساً لعزلة الأمة الفارسية عن العرب الفاتحين، ولكن منذ الثورة الإسلامية التي قادها آية الله الخميني عام 1979، فإنها قد وفرت تسويغاً دستورياً لقرارات النظام السياسية والبنى الدينية والعقيدة العسكرية، وشكلت الوسيلة الأساسية لتعبير الإيرانيين عن قوميتهم.[10] إن المذهب الشيعي يصوغ الرؤية الكونية لصناع القرار في إيران،[11] وبذلك يكاد يكون من المستحيل الفصل بين خيارات السياسات الإيرانية ومبادئها الدينية؛[12] فالتفسير الإيراني للشريعة القرآنية لا يشكل العدسة التي تتفاعل والمجتمع الدولي من خلالها فحسب،[13] بل يحدد الأهداف، ويعرف السلوك للسياسة الإيرانية.[14] يقول ويليس ستانلي، مدير الدراسات الإقليمية في المعهد القومي للسياسة العامة:

> بهذه الأيديولوجية نجد أن إيران والإسلام الشيعي هما شيء واحد لا يمكن الفصل بينهما؛ فإيران تعمل وفقاً للمذهب السياسي - الديني الفريد للخميني، وهو المذهب الذي يؤكد بقاء النظام؛ بوصفه الخدمة الأساسية للإسلام. وبحسب قول الخميني، فإن النظام يجسد سلطة الإسلام الشيعي في الأرض، والتخلي عنه هو تخلٍ عن إرادة الله. وهكذا، فإن بقاء هذا الحكم وصيغته، يعد ضرورة وجودية، وتعبيراً عن المصلحتين الإيرانيتين: الذاتية والقومية.[15]

في السنوات الأولى للثورة، أقام آية الله الخميني هذه الأيديولوجية أساساً لعقيدة الحرب في إيران؛ لضمان بقاء الإسلام الحق، والنظام الديني الجديد، ودولة إيران، وكان أوضح أمر في أثناء الحرب الإيرانية - العراقية (1980 - 1988)، أن الخميني أفاض الحماسة الأيديولوجية الثورية على صوغ التكتيك والاستراتيجية، أساساً للعقيدة الحربية الجديدة لإيران؛[16] فحيثما اعتمدت الأمم الأخرى على الأسلحة التقليدية وبنية قيادة متماسكة، اختارت إيران بدلاً من ذلك «الاعتماد على ثقافتها المُمثَّلة بالشهادة والتضحية، وعلى النظرية القائلة: إن السمو الأخلاقي وقوة الإيمان كافيان للتغلب على آلة الحرب العراقية المدمرة».[17] وقد أطلقت إيران - بقدراتها العسكرية التي كانت أقل كثيراً من قدرات جارتها السنّية - هجمات هائلة من "الموجات البشرية" المكونة من شبان متحمسين عزل،[18] ضد الجيش العراقي، معتقدين بأن إيمانهم يتمتع بقدرة كافية لحمايتهم،[19] ومنح

"الحكومة الإلهية" نصراً مؤزراً.[20] لكن العراق ذبح المتطوعين العزل، واستخدم الأسلحة الكيماوية؛ لإرهاب البلد كله، وإضعاف معنوياته.

لقد أسهمت الهجمات العراقية بالأسلحة الكيماوية في تقويض تماسك قواتها المسلحة، وحدت كثيراً من التيار المتدفق من المتطوعين المتحمسين للموت من أجل الثورة، على الرغم من جهود التجنيد المضنية.[21] ومع تزايد الخسائر في السكان المدنيين والتجهيزات والمعدات التي كانت متوافرة قبل الحرب وفي البنية التحتية، ضغط السكان المذعورون والزعماء الدينيون البراجماتيون على الخميني بشكل متزايد؛ ليضع نهاية لثماني سنوات من القتال.[22] وناشد زعماء بارزون؛ مثل هاشمي رفسنجاني الذي كان القائد الأعلى للقوات المسلحة في ذلك الوقت،[23] القائد الأعلى للثورة قبول قرار مجلس الأمن الدولي رقم 598 لإنهاء الحرب؛ لأن تحرر الشعب من الوهم، وضعف الروح معنوياً لدى جيل الشباب، والاستياء المتصاعد داخل صفوف القوات المسلحة، أمور هددت استقرار النظام الديني ومصداقيته.[24] وقد أذعن الخميني - برغم رأيه في أن الحرب كانت "تضحية ضرورية"[25] - لشرعية الثورة، وقد صرح وهو يخاطب مواطنيه: «كان هذا القرار اليوم أشد من تجرع السم، لقد سلمت لإرادة الله، وتجرعته لنيل رضا الله، لقد كان أشرف لي قبول الموت والشهادة. إن قرار اليوم يستند إلى مصلحة الجمهورية الإسلامية فقط».[26]

بعد أن أدرك الزعماء الدينيون الاستياء الشعبي المتنامي وفقدان الثقة في قدرة النظام في المحافظة على القوة وحماية ما تبقى من الثورة، فضلوا المحافظة على الدولة - إيران، على الاستمرار في حرب دوافعها أيديولوجية. لقد كان زعماء الثورة قبل الحرب يعتقدون بأن في إمكانهم تصدير الثورة إلى كل أنحاء الشرق الأوسط؛ بوصفها نموذجاً يحتذيه المسلمون الآخرون،[27]، والتخلص من جميع العوائق الدبلوماسية، ولكن حينما اتضحت وقائع الحرب، أظهرت المعركة الدموية عدم كفاية استخدام الدين أساساً لتنفيذ استراتيجية عسكرية،[28] وتم عزل إيران دبلوماسياً.[29] ومنذ ذلك الوقت اختار النظام الديني في إيران إدارة سياساته بصورة رئيسية من منظور واقعي، واضعاً مصالح الدولة الإيرانية فوق اتّباع

أيديولوجيته الثورية. وكما ذكر ديفيد ميناشري، الزميل والباحث الأول في مركز موشي دايان لدراسات الشرق الأوسط بجامعة تل أبيب، أنه «إذا وضعنا بعض الاستثناءات، فإنه كلما حدث تصادم بين القناعات الأيديولوجية ومصالح الدولة، بحسب وصايا النخبة الدينية الحاكمة، كانت مصالح الدولة في نهاية المطاف تطغى على العقيدة الثورية في العلاقات الدولية والسياسة الداخلية».[30]

ومن الأمثلة الأخرى على هذه العلاقة المتبادلة بين مصالح إيران وأيديولوجيتها؛ استئناف آية الله الخميني برامج أسلحة الدمار الشامل الإيرانية، أواخر الحرب الإيرانية – العراقية عام 1987.[31] فقد سعى لضمان ألا تبقى إيران أبداً عرضة للهجوم والضعف، كما كان حالها في أثناء الهجمات الكيماوية العراقية عليها، برغم اعتقاده بأن أسلحة الدمار الشامل تعد غير أخلاقية، وأنها تخالف الإسلام في تحريم استخدام السم.[32] كذلك قطعت الجمهورية الإسلامية الإيرانية دعمها للنشاطات الإرهابية،[33] أواخر تسعينيات القرن الماضي في أوربا، وضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها العرب في الشرق الأوسط؛ وكان ذلك نتيجة قرار براجماتي بسحب دعمها للإرهاب، أمام تهديد أمريكا بالانتقام العسكري من النظام.[34] وعلى الرغم من دور حماسة إيران ضد الأمريكيين في إذكاء العمليات الرامية إلى اجتثاث النفوذ الأمريكي في المنطقة،[35] فقد تراجعت عن عملياتها الإرهابية، و«رضخت للحاجة إلى إصلاح العلاقات بالأطراف الدوليين المؤثرين... حسبما تقتضيه حاجة الأمة إلى الحياة والنمو».[36] وقد احتلت مصلحة إيران المُمثَّلة ببقاء الدولة أهمية قصوى؛ فهي تعدها الحامي المطلق للثورة. وعلى الرغم من أن إيران دلت على استعدادها لتحمل خسائر ضخمة في سبيل أيديولوجيتها، فقد أظهر التاريخ أن المذهب الشيعي يتسم بالبراجماتية، وأن «شأنه هو شأن كل الأطراف السياسيين المؤثرين، إن المذهب الشيعي – باعتقاده أنه يستطيع خدمة القضية التي يقف من أجلها – يعلق أهمية كبرى على المحافظة على القوة؛ ولذا، فقد تم توجيه جزء كثير من السياسة الخارجية نحو ذلك الهدف».[37]

زعيم حق للإسلام، وجهة إقليمية مهيمنة

إن إيران لا ترى أن دورها حيوي في إحياء الإسلام وتنقيته فحسب،[38] بل تنظر إلى نفسها على أنها صاحبة الهيمنة الطبيعية على المنطقة، والزعيمة الحتمية للشعوب الإسلامية في العالم قاطبة. إن كلمات حسين موسوي، السفير الإيراني في ألمانيا، تلخص بشكل أفضل الشعور الذاتي لإيران بالفخر والاعتزاز: «إن إيران دولة قوية في المنطقة، وهي صاحبة القول الفصل في العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، وهي قوة ثقافية، وقوة سياسية عظمى... مثل هذه الدولة لا يمكن أن يتم تجاهله».[39] تبدو هذه الادعاءات من منظور أمريكي، غير جديرة بالاهتمام؛ نظراً إلى موقف إيران الحالي في النظام الدولي، لكن وجهة النظر الإيرانية هي أن أمة يمتد تاريخها عبر خمسة وعشرين قرناً، وتملك موقعاً جغرافياً رئيسياً وموارد طبيعية وفيرة، وتتمتع بمركزها، من حيث هي دولة إسلامية تملك أكبر اقتصاد وأقوى قوة عسكرية،[40] جديرة بهذه المكانة؛ يقول راي تقيه، وهو زميل أول في مجال الدراسات الشرق أوسطية في مجلس العلاقات الخارجية: «لقد رأت إيران دوماً في نفسها – أكثر من أي أمة أخرى – تهيمن طبيعياً على جوارها... ونتيجة لتاريخ الإيرانيين وقوة حضارتهم، فإنها تعتقد بأن أمتها يجب أن ترسخ تفوقها الإقليمي».[41]

يرى بعض القادة الإيرانيين أن دور الزعامة الإيرانية سيمتد في نهاية المطاف إلى المسرح العالمي كله؛ فقد قام الجنرال يحيى صفوي، قائد الحرس الثوري الإيراني، مؤخراً بإيضاح أحد أهداف النظام؛ وهو إيجاد عالم متعدد القطبية، يضم إيران والاتحاد الأوربي والصين والهند وروسيا، بحيث تصبح إيران "السلطة المركزية" للمسلمين في العالم البالغ تعدادهم 1.5 مليار ونصفاً.[42] ومن الملاحظ أن الغائب عن هذه المجموعة هو الولايات المتحدة الأمريكية، أو القوة المهيمنة – كما تشير إليها إيران[43] – لأن الدور الذي تراه إيرن يناط بها بشكل وثيق، هو موقف معادٍ للولايات المتحدة.[44] إن كره إيران للوجود الإقليمي والضمانات الأمنية للولايات المتحدة يجعل نظرتها المبالغ فيها تجاه الأهمية التي تتمتع بها، تدفعها إلى اتخاذ خطاب، وتصرفات تهدف إلى إضفاء الشرعية على أملها المُمثَّل بإقامة ترتيبات أمنية إسلامية جماعية في المنطقة، بقيادة إيران التي ستصبح في النهاية السلطة

الوحيدة المخولة بالمحافظة على السلام والاستقرار الإقليميين، من دون تدخل أجنبي.[45] وعلى الرغم من خطاب إيران الذي ينطوي على المبالغة بنفسها، فإن الدلائل تشير إلى أن غالبية الدول السنية غير مستعدة لقبول الهيمنة القيادة السياسية لدولة ثورية شيعية ولا راغبة في ذلك؛ خشية الخلل الإقليمي وفوضى السياسة المحتملَين.[46]

لكن عدداً قليلاً من المحللين يعتقدون بأن إيران ستنخرط في مغامرات علنية، وعدوان سافر ضد جيرانها؛ سعياً وراء الهيمنة،[47] ويتصور كثيرون أن تحولاً نمطياً قد حل في أذهان نخبة "جيل الحرب" الإيرانية، بعيداً عن السعي لتصدير الثورة الإسلامية بالعنف إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط؛ لتتجه نحو موقف نمطي أقرب إلى الدفاع،[48] باستخدام وسائل الإقناع الدبلوماسية والسياسية لتحقيق أهدافها الإقليمية.[49] وثمة شاهد على هذا الموقف الجديد نراه في عرض إيران الدبلوماسي؛ لمساعدة جيرانها من الدول السنية بالتطوير المشترك للطاقة النووية السلمية؛ لكي تثبت أنها قوة إقليمية متقدمة على الصعيد الإقليمي، ولكنها لا تشكل خطورة، فقد عرضت التعاون بينها وبين جاراتها من دول الخليج، من خلال تطوير تقنيات نووية سلمية، وتعتقد إيران بأن برنامجها النووي سيمنحها السمعة والمصداقية اللازمتين لترسيخ نفوذها في المنطقة،[50] لكن برنامجها النووي أدى في الواقع إلى الشعور بالقلق أكثر من الشعور بالإعجاب في عواصم؛ كالرياض والقاهرة وعمَّان؛[51] حيث بدأت النقاشات حول الرغبة في تطوير القدرات النووية لهذه الدول؛ «لإضعاف الميزة المتوقعة لإيران، وموازنة التراجع الملحوظ في قوة حماية الولايات المتحدة».[52] وهكذا صرح وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي مؤخراً – في محاولة لتخفيف المعارضة الإقليمية واجتذاب الدول المجاورة إلى إيران لتقبل زعامتها؛ بوصفها نقيضاً لزعامة الولايات المتحدة الأمريكية – حيث قال في أيار/ مايو عام 2007: «تستطيع إيران تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن تتعاون ودول الخليج، في تقديم التقنيات، وهي جادة في هذا الشأن».[53] لكن هذا العرض لم يكن له إلا أثر ضئيل في التخفيف من مخاوف العرب، إزاء ميزة إيران الاستراتيجية المتوقعة، وقد قادهم – بدلاً من ذلك – إلى مواجهة عرض إيران بخطتهم؛ لإيجاد نادٍ متعدد الأطراف، يزود كل دولة باحتياجاتها من اليورانيوم المخصب.[54]

استخدمت إيران على الصعيد السياسي أيضاً، خطاباً حاداً ضد إسرائيل؛ تأييداً للقضية الفلسطينية، في محاولة لإعمال نفوذها داخل العالم العربي، وقد شمل ذلك منذ انتخاب الرئيس أحمدي نجاد، الدعوةَ إلى «إزالة إسرائيل من الخريطة»،[55] وإنكار المحرقة بوصفها "أكذوبة"، ولا يمكن عزو هذا العداء المستحكم تجاه إسرائيل إلى الطموحات الإسلاموية فحسب؛ فإيران تعتقد بأن موقفها الأيديولوجي الحاد تجاه إسرائيل يمنحها فائدة استراتيجية، بإضفاء الشرعية على زعامتها للشعوب الإسلامية في العالم.[56] ومع قبول الأنظمة العربية التدريجي شرعيةَ إسرائيل ومشاركتها في مفاوضات تدور حول أبعاد الدولة الإسرائيلية – لا حول حق إسرائيل في الوجود – اقتنصت إيران الفرصة للتلويح بأوراقها الإسلامية بالدخول في فراغ سياسي، والتزام الخطاب الذي يلهب الحماسة، والذي يحظى بتأييد الشارع العربي.[57] وهكذا يستغل النظام الديني في إيران الكفاح الفلسطيني «ليؤكد نفوذ إيران، ويستجمع التأييد الشعبي لها، ويؤكد إدعاءاتها، من حيث هي قوة إقليمية».[58] ولكن على الرغم من إمكانية وجود شعبية لمثل هذه التصريحات لدى الجماهير العربية كلها، فقد سببت قدراً كبيراً من عدم الارتياح في العواصم العربية المجاورة؛ حيث تلوح أمام أعينها معالم قوة إقليمية مارقة؛ مسببة القلقَ في الحسابات الاستراتيجية للأنظمة العربية الراهنة.[59]

إحساس سائد بالعزلة والضعف الاستراتيجيين

سعت إيران للتقليل من عزلتها السياسية بالادعاءات الطنانة بالتفوق الإقليمي، والتزامها الحماسي بالقضية الفلسطينية، واستعدادها لمشاركة خبراتها في المجال النووي، ولكن هذه التصرفات أسهمت فقط في تأكيد جانب مهم من ثقافتها الاستراتيجية، وهو إحساس سائد – وإن كان متناقضاً – بالعزلة الاستراتيجية؛ ومن ثم تعرضها للنفوذ والغزو الأجنبيين. ومنذ فتوحات القوى العربية المختلفة وحشود المغول من القرن السابع مروراً بالقرن الثالث عشر،[60] إلى وضعها؛ بوصفها ضحية في "اللعبة الكبرى"[61] للتآمر الإمبريالي طوال القرنين التاسع عشر والعشرين، تعد إيران دولة قومية «مقرونة بإحساس بعدم الأمن، منشأُه غزو مستمر من قوى معادية»،[62] وحديثاً كانت الحرب الإيرانية – العراقية في ثمانينيات القرن الماضي هي التي تركت أثراً لا يمَّحي في نفسية

الزعامة الإيرانية؛ حيث أشرِب الزعماء شعوراً عميقاً بالضعف، والانكشاف وطنياً، وعدم الأمن.[63] وقد قتلت هجمات جيش صدام حسين على الشعب الإيراني بالأسلحة الكيماوية – وهي التي لم يسبقها استفزاز – ما يقدر بـ 500 ألف نسمة [بحسب المصدر]، وسببت أضراراً عسكرية وسياسية ونفسية، لا تسيطر على نظرة إيران الحالية لأمنها فحسب،[64] بل تمثل حافزاً لكثير من برامج ما بعد الحرب، ولخطابها ضد الغرب.[65]

ومادامت إيران دولة فارسية، ومحاطة بجيران ليسوا فرساً، وبعضهم يمتلك أسلحة نووية، فإنها تعاني في الأساس حالة عزلة استراتيجية دائمة، وربما قدر لها أن تبقى كذلك، وهي لا تملك الخلفية الإثنية، ولا الروابط الطائفية؛ لتشكل تحالفات دائمة، مبنية على قيم ورؤى مشتركة مع جيرانها.[66] وعلى الرغم من ارتياب النظام الإيراني، وكراهيته عموماً للقوى السنية المحيطة به،[67] فإن الأهم من ذلك أنه يشعر بأنه محاط بالقوة العسكرية الأمريكية غير المماثلة. وقد حققت الولايات المتحدة الأمريكية مؤخراً انتصارات كاسحة في ميدان المعركة في العراق وأفغانستان [عام 2008]، وتتمتع بدعم عسكري من إسرائيل، وقد أبرمت اتفاقيات أمنية بعيدة المدى مع دولة الكويت ومملكة البحرين ودولة قطر وسلطنة عُمان،[68] وقد أسهمت في مسؤوليات حلف شمال الأطلسي الجديدة خارج المنطقة.[69] والحقيقة «أن القادة الإيرانيين قد رأوا – بصورة شرعية أو بصورة غير شرعية – في الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة تهديداً مباشراً» لبقاء إيران، «وقد فاقم ذلك التفوق الكاسح لأسلحة الولايات المتحدة ولقدراتها العملياتية»،[70] بالمقارنة إلى أسلحة إيران وقدراتها.

ومادامت هذه الوقائع عززت شعور إيران بالعزلة، فقد جعلت إيران من الردع، والجاهزية،[71] والاعتماد على الذات،[72] أسساً لأهدافها الأمنية الطويلة الأمد. وبعد نهاية الحرب الإيرانية – العراقية أتاحت القوة المتبقية لإرث الخميني، المجال لمبادئه بأن تأخذ شكل القانون في نظم القوات المسلحة الإيرانية. إن تأكيد الولاء للقائد الأعلى، والاكتفاء الذاتي، وصون الدفاع – لردع أي معتدٍ والحماية منه؛ ومن ثم معاقبته – هذه النظمَ «يدل على رؤية إيرانية دفاعية في جوهرها، غير أنها تتحمس لحماية الإسلام»، وترسم «الخطوط

الكبرى لأهداف إيران الدفاعية التي تسعى لحماية الاستقلال الوطني ووحدة الأراضي والمصالح الإقليمية والنظام الديني».[73] لقد أسهمت الأحداث المدمرة والمُذِلة في الحرب الإيرانية - العراقية في النأي بالعقيدة الحربية لإيران، عن أن تكون البادئة بعمليات هجومية تنطوي على المخاطرة؛ (أي هجمات "الموجات البشرية")، والاتجاه لتجنب الحرب التقليدية بالاعتماد - بدلاً من ذلك - على الحرب غير النظامية والإرهاب واللغة القاسية والتهديد المبطن بأسلحة الدمار الشامل لردع الأعداء أو كبتهم.[74] وبدلاً من أن يدل هذا الأسلوب القائم على الردع على نيتها العدوانية، فإنه تضمن تركيزاً على زيادة مخاطر الخصم وتكاليفه، أكثر من التركيز على تقليل المخاطر والتكاليف بالنسبة إلى إيران؛ من أجل ضمان أمنها الإقليمي وأمنها السياسي،[75] وهو يتطلب - من ثم - استخدام اللغة القاسية والتلويح بالقوة من آنٍ إلى آخر؛ لإظهار التصميم على الانتقام لأي هجوم.

مفاهيم خاطئة متأصلة

إن خضوع إيران في فترات تاريخية لقوى أجنبية تلاعبت بمقدراتها، يمثل السياق الأنسب لإظهار الحدة في الخطاب والشكوك تجاه المجتمع الدولي، ولاسيما تجاه الولايات المتحدة الأمريكية:[76] "الشيطان الأكبر"[77] بالنسبة إلى إيران؛ يقول حسن عباسي، وهو باحث منظّر للحرس الثوري الإيراني: «إن هدف أمريكا لا يقل عن تدمير النظام الإيراني والإسلام... حيث يهدف مشروعها اليوم إلى تقسيم إيران إلى سبع دول، واستغلال نزاعاتها العرقية».[78] إن نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية - في إشارة غاضبة إلى انقلاب عام 1953، الذي أعادت فيه الولايات المتحدة الشاه الفاسد ضد رغبة أفراد الشعب في اختيار رئيس وزرائهم - يتمسك باعتقاد مبني على نزعة الشك وهاجس الريبة في أن أمريكا تتدخل باستمرار في شؤونه الداخلية، وتسعى لتدمير نظام الإسلام الحقيقي، وتتربص لتبديل زعامتهم إلى نظام كالدمية في أيديها في أي لحظة.[79]

يقول كينيث بولاك، مدير الأبحاث في مركز سابان لسياسات الشرق الأوسط، بمعهد بروكينجز الأمريكي: «بعد الانقلاب تزايد اعتقاد الإيرانيين بأن الولايات المتحدة

قوة حاقدة خَلَفَت البريطانيين؛ بوصفهم قوة ماكرة تتحكم في مصير إيران وتمنعها من تحقيق مكانتها الصحيحة ورخائها»؛[80] وقد أدى الانقلاب إلى خيبة أمل في أوساط نخبة رجال الدين، أدت إلى قيادة الخميني عام 1979، ثورتَه لإقامة جمهورية إسلامية إيرانية حديثة على مبادئ الشيعة، وإعلانه تعبير "الشيطان الأكبر"؛ إشارة إلى أمريكا.[81] وكان يؤمن أن «كل ما هو خطأ في إيران ناشئ عن المكائد الأجنبية»،[82] وأن الولايات المتحدة تمثل تهديداً وجودياً، وهي معادية لله ولدار الإسلام.[83] وتنظر أيديولوجية الخميني المانوية* إلى أن إيران والولايات المتحدة في صراع كوني بين الخير والشر، وقد تجذَّر ذلك في أذهان زعامة إيران الحالية، حتى إن زعماء إيران طوال خمسين عاماً اعتقدوا – انعكاساً لذلك – بأن أمريكا هي مصدر جميع المشكلات في العالم. والحقيقة أن هذه الأيديولوجية قد أدخلها الزعماء الأكثر اعتدالاً إلى المسرح السياسي، وإن كان عليهم أن يتكلموا – بوصفهم متشددين معادين للأمريكيين – لكي يحافظوا على المصداقية، ويحظوا بالبقاء والاستمرار سياسياً؛ وهذا يساعد على تفسير الأسباب الكامنة وراء كون «المبادرة الجديدة المعتدلة في أحد الأيام يتبعها كلام متشدد في اليوم التالي»؛[84] فإذا تخلى أي من الزعماء علناً عن مثل هذه المشاعر المعادية للأمريكيين فإن ذلك سيلقي ظلالاً من الشك على شرعيتهم في الوطن.[85]

لقد تسلل هذا الاعتقاد الراسخ أيضاً، إلى استراتيجية إيران وتخطيطها العسكريين، ومادام الجنرال يحيى صفوي يرغب في أن يمثل القطب الإسلامي ذات يوم، "حكومة للعالم أجمع" بزعامة الإمام الغائب المهدي، فإنه يدرك أن الولايات المتحدة الأمريكية هي العقبة الكأداء التي تسعى لمنع نهوض الثقافة الإسلامية وبروز إيران زعيمة للقطب الإسلامي.[86] وفي عام 2003، صرح صفوي أن المهمة الأساسية للحرس الثوري – علاوة على جميع المهمات الدفاعية الأخرى – يجب أن تكون "الدفاع الثقافي".[87] وبالإضافة إلى ذلك، خشي كثير من المسؤولين – بعد أن أطاحت واشنطن النظام العراقي – من أن

---

* هي فلسفة يزعم أصحابها أن الحياة تحكمها قوتان: قوة النور (الخير) وقوة الظلام (الشّر). وتنسب التسمية إلى ماني بن فتك المولود عام 216 بعد الميلاد في بابل، وقيل: إن الوحي أتى ماني وهو في الثانية عشرة من عمره. (المترجم)

الولايات المتحدة كانت تستخدم الحرب النفسية لإخضاع قلوب الإيرانيين وعقولهم، والتدخل في شؤونهم الداخلية؛ ولذا بدأ بعضهم يرى أن إيران تستمر في السعي لإثارة الاضطرابات على الصعيدين العالمي والإقليمي، واستخدام "الحرب النفسية والتهديدات غير المتماثلة"، ضد الولايات المتحدة الأمريكية؛ لجعلها تستبعد خيار "العدوان العسكري"؛ لإطاحة النظام الإيراني والهيمنة على مهمتها الثورية في العالم.[88]

هجوم أو دفاع؟

من الواضح بعد هذا الاستعراض السريع لثقافة إيران الاستراتيجية، أن:

> إيران دولة تناقضات ومفارقات؛ فهي تبالغ في تصورها عن نفسها، ومع هذا فهي تشعر في الوقت نفسه أنها لا تنعم بالأمن، وهي تسعى لقيادة المنطقة في الوقت الذي تساورها فيه الشكوك، وتشعر بالازدراء تجاه جيرانها، وخطابها مشبع بالعقيدة الثورية، على حين تجد أن سلوكها الفعلي عملي، وإن لم يكن واقعياً. وقد اصطبغ أسلوب إيران المضطرب تجاه الشرق الأوسط الكبير، بصراع دائم بين التطلعات والقدرات، والهيمنة والبراجماتية.[89]

ما الذي تكشف عنه هذه الجوانب من ثقافة إيران الاستراتيجية بشأن الرغبة في امتلاك قدرات تسلح نووي والدافع إليه؟ إن العناصر الأربعة الآنفة الذكر في ثقافة إيران الاستراتيجية تدل دلالة قوية على رغبة إيران في امتلاك أسلحة نووية؛ لتضفي الشرعية داخلياً وخارجياً، على سعيها لتحقيق هدفها في تولي الزعامة الإسلامية، والهيمنة الإقليمية، والتخفيف من إحساسها السائد بعدم الأمان،[90] إن إيران لن تستخدم أسلحتها النووية هجومياً ضد الولايات المتحدة الأمريكية، على الرغم مما توحي به الجلبة التي يثيرها أحمدي نجاد؛ بسبب خوف إيران من الانتقام (الذي يمكن أن يدمر النظام، وأراضي الدولة؛ ومن ثم قلب الإسلام الشيعي)، والتوترات البراجماتية الضاغطة داخل الزعامة الإيرانية.

إن إيران لا تنظر إلى نفسها على أنها زعيمة للإسلام التقليدي فحسب،[91] بل على أنها - أيضاً - حاملة راية الإسلام، وقد عينت نفسها بنفسها لهذا الدور؛ لكي تحكم العالم ذات

يوم، تحت قيادة الإمام المهدي المنتظر،[92] وآخر الخلفاء الراشدين للنبي محمد.[93] وهذا المركز وهذه الدعوة لا يتطلبان «قدراً من القوة لـدعم خطابهـا» فحـسب،[94] بـل يتطلبـان أيـضاً «القدرة على تحويل نفسها إلى قوة عسكرية إقليمية، تستطيع الدفاع عـن مـصالح المجتمـع [الإسلامي] وتعزيزها».[95] إن امتلاك إيـران أسـلحةً نوويـة سـيمنحها في إطـار علاقاتهـا الدولية:

- "صوتاً" لتقرير الأحداث والفعاليات التي تقع داخل منطقتها.[96]

- رادعاً لحماية الهوية الإسلامية والقيم الثقافية،[97] لإيران وللحضارة الإسلامية بـصورة عامة.

- القدرةَ على منع الولايات المتحدة من إعادة تشكيل الشرق الأوسط على الصورة التي تريدها.[98]

- دخولَ النادي النووي؛ الأمر الذي يـضفي عليهـا عنـصري الهيبـة والمكانـة، اللـذين تتطلع إليهما،[99] وهو ما لا يتناسب ومركزها العسكري الحقيقي.[100]

- صفتي الحداثة والعصرنة؛ لإعلاء مكانتها الوطنية في المنطقة وفي العالم.[101]

- وأخـيراً، القـدرة عـلى تحقيـق طمـوح النظـام لجعـل إيـران القـوة المتفوقـة في العـالم الإسلامي، وبذلك تحظى بدورها المناسب؛ بوصفها قوة إقليمية مهيمنة، وتغدو منارة للجميع؛ لكي يهتدوا إلى الإسلام الحق.[102]

إن تمتع إيران – بالإضافة على ذلك – بوضعها، من حيث هي قوة نووية، ضمن كفاح سلطتها السياسية الداخلية، يزود زعماءها الدينيين بالمؤهلات التي تساعدهم على ترسـيخ قبـضتهم عـلى الـسلطة، والتـضييق عـلى الـذين يـسعون لتحـرر المجتمـع والاقتـصاد الإيرانيين،[103] وسيمثل أيضاً رمـزاً للوطنيـة والعـزة لـدى مـواطني إيـران المعتـادين عـلى النكسات والإخفاقات التي أتت بها الثورة إلى مجتمعهم.[104]

وفي الوقت الذي تدل فيه الشواهد المذكورة آنفاً على أن إيران تمتلك الرغبة في النفوذ وامتلاك القدرات النووية بغرض الهيمنة،[105] فإن هناك أيضاً؛ عدداً من المؤشرات الرئيسية التي قامت بها إيران، والتي تدل على أنها تسعى لامتلاك قدرات التسلح النووي لأغراض الردع أيضاً، وتشمل ما يأتي:

- حيازة وسائل متطورة وقابلة للاستمرار لإطلاق الأسلحة.
- الإعلان بصراحة عن قلقها بشأن "ميزان قوى"، وخاصة لأن الدولة ضعيفة بالمقارنة إلى أعدائها المنظورين.
- استخدام الخطاب الملتهب حماسة تجاه "القيود" المُمثَّلة بنفوذ القوى الكبرى.
- وجودها في منطقة فيها جيران مستعدون للمواجهة، ولديهم قوة عسكرية ضاربة.
- ماضيها الذي سيطرت فيه عليها خلاله قوة متفوقة، وتنمرت.[106]

لقد أسهم إحساس إيران بالظلم؛ نتيجة عدم مساعدة المجتمع الدولي لها، في أثناء معاناتها الهجماتِ بالأسلحة الكيماوية خلال الحرب الإيرانية – العراقية، في دفعها الآن إلى حيازة قدرات انتقامية مماثلة؛ لكي تتفادى المفاجآت الاستراتيجية المستقبلية، ونتيجة لذلك أيضاً، يذكر شهرام تشوبن مدير البحوث في مركز جنيف للسياسات الأمنية: يبدو أن الهدف من «برنامج إيران النووي الوليد هو أن يكون إجراءً وقائياً عاماً، وخياراً بديلاً، لا برنامجاً متهوراً يستهدف عدواً محدداً».[107] ويعد سعي إيران لامتلاك قدرات تسلح نووي من منظور أمني، محاولة حكيمة من جانب زعامتها؛ لرفد وضع الردع العسكري لديها، ضد سلسلة التهديدات الواسعة النطاق التي تواجهها.[108] إن إيران تعيش في «منطقة تعج بالمخاطر، وتحيط بها قوى نووية من جميع الجهات، وتسمع تهديدات مكرورة من رجال سياسة أمريكيين وإسرائيليين رفيعي المستوى؛ ومن ثم فإن بناء قدرة نووية يعد رادعاً موثوقاً به، وسياسة ضمان ثمينة في وجه التهديدات الخارجية».[109] إن الأسلحة النووية تمنحها مستوى أعلى من التكافؤ وإسرائيل،[110] وتسمح لها بالتوازن وترسانة باكستان النووية،[111] كما تعطيها القدرة الضرورية لمنع الولايات المتحدة من التدخل في برامج سياساتها الداخلية وسياستها

الخارجية.[112] يقول مصطفى تاج زاده، وهو أحد الإصلاحيين الإيرانيين: «إن الأمر في الأساس، هو مسألة تعادل، فإذا لم يكن لدي قنبلة نووية فلا أمن لدي».[113]

لكن بعض الناس ممن يستغربون ما سبق يتساءل: ألا تريد حكومة إيران – مادامت قائمة على مبادئ الإسلام بحسب المذهب الشيعي المتسم بالثورية، وهو الذي يقدس الشهادة وينتظر ظهور المهدي – المبادرةَ إلى استخدام الأسلحة النووية لتدمير إسرائيل والقضاء على النفوذ الأمريكي؛[114] ممهدةً بذلك لمقدم الإمام المهدي أخيراً؟ وجوابي على هذا السؤال هو: لا؛ بسبب خوف إيران من الانتقام في نهاية الأمر؛ فالبقاء – سواء كان مادياً أو ثقافياً أو دينياً – مايزال أهم دافع أساسي للدول إلى أن تطور أسلحة نووية.[115] إن آية الله الخميني؛ ومن ثم أشد أتباعه حماسة – كما سبق أن ذكرنا – يرون أن «بقاء النظام هو الخدمة المطلقة للإسلام»، ومادام «النظام يعد تجسيداً لسلطة الإسلام بمظهره الشيعي على ظهر الأرض... فإن التخلي عنه هو تخلٍّ عن إرادة الله».[116] إن تاريخ إيران العسكري وتاريخها الدبلوماسي الحديث يدلان على أنها تتصرف، من حيث هي دولة عقلانية في شؤونها، وتستخدم الحسابات البراجماتية في تصريف سياستها الخارجية، والمحافظة على مصالح الدولة.[117] وهي تثمّن بشدة حماية الثورة، والمحافظة على سلامة أراضيها، والوفاء بهدفها "المعتبر"، وهو أن تصبح في المستقبل القوة المهيمنة إقليمياً – وربما عالمياً – بحيث يستطيع الإمام الغائب أن يقيم عرشه في مملكة قوية.

وهكذا؛ فإذا واجهت إيران تهديداً بضربة نووية انتقامية كاملة؛ رداً على مبادرتها باستخدام أسلحة نووية ضد الولايات المتحدة (وضمناً إسرائيل)، فسوف ترتدع عن البدء بضربة نووية هجومية؛ لأن قادة إيران سيواجهون واقعاً من التدمير الأرضي الواسع، والإصابات الجماعية التي تؤدي إلى الرد على مبادرتها باستخدام الأسلحة النووية.[118] ويهدد هذا الهجوم في الضربة الثانية بإطفاء "منارة"[119] الإسلام الحق، وترك قيادة الحضارة الإسلامية لجيران إيران السّنّة، والقضاء على "عرش" الإمام الثاني عشر ومقره النهائي.[120] والحقيقة أن كل ما بنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية المعاصرة هويتها عليه – إضافة إلى القيم السامية – سيندثر خلال ثوانٍ. وقد صرح جهانجير أموزنجار

– وزير المالية السابق والسفير الاقتصادي في الحكومة الإيرانية قبل عام 1979 – بكل جدارة بقوله: «يجادل بعض المثقفين بأن إيمان الشيعة بالشهادة، إلى جانب الأيديولوجية المتطرفة للنظام الإيراني، يمكن أن يفرغ الردع من مضمونه. ومثل هؤلاء الناس لا يعرف الشهادة الشيعية ولا غريزة القادة الإيرانيين لحفظ الذات، ولا عقلية رجال الدين التجارية التي تبحث دوماً عن الصفقات المثلى».[121]

لقد احتج بعض المحللين – على الرغم من هذه البراجماتية – بأن عداء إيران لإسرائيل أحد الأمثلة النادرة على اعتمادها المستمر على العقيدة الثورية في تحديد أهداف سياساتها، حيالَ هذه المشكلة الاستراتيجية المهمة.[122] وهكذا، نجد أنها كانت تسعى باستمرار لردع إسرائيل وتمزيقها وتدميرها من خلال لغتها الثورية ودعمها للإرهاب، وسيلة للتعبير عن عدائها.[123] ولكنْ، من المفارقات أن إيران قد حافظت دوماً على "درجة من مراعاة المصلحة والبراجماتية" في معارضتها إسرائيل،[124] وهذا جليّ من ضبطها النسبي للذات، حيالَ مخزونها الحالي من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية.

لقد احتفظت إيران – عندما قرر آية الله الخميني منذ الحرب الإيرانية – العراقية، استعادة برنامج إيران لأسلحة الدمار الشامل – بمخزونات كافية من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية التي يمكن استخدامها لتسديد ضربة قاضية ضد شعب إسرائيل، وكان في إمكان إيران – لو ركّبت هذه الأسلحة على صواريخها البالستية – أن تقوم بشكل فعال «بمسح إسرائيل من الخريطة»، كما دعت إلى ذلك أيديولوجية أحمدي نجاد الثورية التي يبدو أنْ لا رادعَ لها، ولكن، على الرغم من أنها دعمت على نطاق واسع النشاطات المسلحة ضد إسرائيل، وسعت عن وعي لنسف عملية السلام بين العرب وإسرائيل، فإنها لم تستخدم قط، قدرات أسلحة الدمار الشامل ضد إسرائيل، لا بنفسها ولا من خلال وكلائها.[125] وعلى الرغم من قول بعض الناس: إن إيران تنتظر إلى حين، استكمال مخزونها من الأسلحة النووية لتسديد مثل هذه الضربة، فإنها – حتى في ذلك الوقت – سترغب بشدة في المحافظة على بقاء المذهب الشيعي، وستسعى للمحافظة على تصوراتها بشأن دورها المستقبلي في الهيمنة على الصعيدين الإقليمي والعالمي، وتخشى الانتقام العسكري

الأمريكي في نهاية المطاف؛ ومن ثم فإنها - كما سبق القول - من المرجح أنها ستُردَع عن استخدام الأسلحة النووية الهجومية، إذا ما عُرِّضت تلك المكاسب للخطر.[126]

إن عدداً كبيراً من النقاد والحكومات - مع ذلك - يعتقد بأن الرئيس أحمدي نجاد، يشعر بعداء مستحكم بدوافع أيديولوجية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، ويؤمن إيماناً راسخاً بصراع الحضارات الحتمي بين الولايات المتحدة وإيران؛[127] ومن ثم فستكون لديه الاستطاعة والرغبة في تدمير "الحضارة الديمقراطية الحرة"، حالما يمتلك مثل هذه القدرات النووية.[128] وأنا أعتقد أن هذا الرأي مضلل أيضاً؛ نتيجة وجود فهم ضيق لعوامل التوتر البراجماتية الضاغطة الموجودة داخل البنية السياسية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهي التي خففت من سعيها وراء تحقيق أهدافها الثورية. ولم تتمكن الثورة الإيرانية من تسخير المذهب الشيعي ضمن بنى واضحة للسلطة السياسية؛ ومن ثم فإن هناك عدداً كبيراً من المجموعات المتنافسة التي تدعي الشرعية، وتسعى للتأثير في سياسات إيران الخارجية والعسكرية؛ ونتيجة لمتطلبات التوفيق بين فن إدارة الدولة على الصعيد الدولي وبناء إجماع داخلي أولاً، وبين المذهب الشيعي الديني ثانياً،[129] فقد برزت بنية مُقسَّمة للسلطة في إيران ما بعد الثورة، تميزت بالتوترات الداخلية وانتقال توازنات القوة بين الزعماء ذوي الأساليب البراجماتية، في تعزيز أهداف الثورة، (ويشار إليها عادة بـ "البراجماتية" أو إليهم بـ "المعتدلين")، والزعماء الذين لديهم آمال في المحافظة على اعتماد صارم على الذات؛ لكي يرفضوا أي تنازل أو تسوية مع الغرب،[130] (ويشار إليهم عادة بـ "المتشددين" أو "المحافظين")، وهؤلاء منهم رجال الدين (وهم عادة "أصوليون" أو "راديكاليون")، وسياسيون مدنيون (وهم عادة معتدلون ومحافظون معاً)، وبمستوى أدنى يأتي العسكريون،[131] وكلهم يعملون تحت سلطة القائد الأعلى، آية الله خامنئي وتوجيهه. وفي ضوء هذه التوترات السياسية قال كينيث بولاك وراي تقيه ما يأتي:

> على الرغم من اتفاق الزعماء الإيرانيين حول القيمة الاستراتيجية لبرنامج نووي قوي، فإنهم منقسمون إزاء درجة القوة التي ينبغي له أن يتصف بها، ويضغط أصحاب الأيديولوجيات المحافظة؛ من أجل كسر القيود على البرنامج النووي في تحدٍّ للرأي الدولي، بينما يؤكد الواقعيون المحافظون أن القيود تخدم مصالح إيران على نحو أفضل... والأسلحة النووية لا

تحظى بقيمة استراتيجية في عالم هؤلاء المتشددين فحسب، بل أصبح لها تداول في السياسة الداخلية. ويرى المحافظون الإيرانيون في تحديهم للشيطان الأكبر وسيلة لتعبئة الرأي القومي خلف ثورة فقدت تدريجياً الشرعية الشعبية، وبالمقابل، فإن الواقعيين من رجال الدين يحذرون من أن أي استفزاز من جانب طهران، في هذا الوضع الذي تُعرَّض فيه إيران للتدقيق الشديد على الصعيد الدولي، سيدفع دولاً أخرى إلى قبول أسلوب واشنطن العقابي، ويزيد عزلة نظام رجال الدين.[132]

على الرغم من أن علاقات القوة في حقبة ما بعد الخميني تبقى بعيدة عن الشفافية،[133] فإن أحمدي نجاد نفسه، لو أراد استخدام الأسلحة النووية في الهجوم على إسرائيل، لوجد نفسه مقيداً بأحزاب وهياكل سياسية مختلفة داخل النظام.[134] ويعد البعد الاقتصادي للدبلوماسية النووية العالمية مع إيران الدافع الرئيسي الذي يدفع بالبراجماتيين إلى أن يمثلوا القوة الموازنة، والعقبة في وجه المنظّرين المحافظين الذين يسعون لتحدي "الشيطان الأكبر"، وربما تدميره. ومن الواضح أن هؤلاء البراجماتيين يدركون بوضوح أن اقتصاد إيران السيِّئ التنظيم،[135] لا يمكنه التصدي للعقوبات المستمرة المتعددة الجوانب، وهم يسعون بذلك لتلطيف كثير من كلام أحمدي نجاد ضد الأمريكيين.[136] والحقيقة أن كينيث بولاك صرح في شهادة لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب عام 2005، أن «أكبر ما يخشاه زعماء إيران الأكثر واقعية - ومنهم القائد الأعلى علي خامنئي - هو أن إيران ستواجهها عقوبات دولية تحد من - أو تمنع - التبادل التجاري والمعونات والاستثمارات التي تحتاج إليها حاجة ماسة لاستنقاذ اقتصادها المتعثر».[137] وقد ذكر بولاك أيضاً أنه على الرغم من أن الرئيس أحمدي نجاد وحلفاءه السياسيين لا يشاطرون رجال الدين الواقعيين قلقهم من عزلة إيران الاقتصادية الدولية،[138] فإنهم من غير المتوقع أن يكون لهم القول الفصل في سياسات إيران الخارجية أو العسكرية أو الاقتصادية؛ لأن منصب الرئاسة في هذه المرحلة الزمنية، يتمتع بصلاحيات قليلة نسبياً. يقول بولاك:

سيكون خامنئي من دون شك صانع القرار الأخير، كما كان طوال رئاسة خاتمي التي اتسمت بالعجز... وعلى الرغم من أن خامنئي ليس صديقاً للولايات المتحدة، فإنه أظهر قدراً كبيراً من البراجماتية بشأن قوة إيران الحقيقية ومركزها؛ الأمر الذي أدى إلى سياسات إيرانية أكثر عقلانية نوعاً ما، مما توحي به لغة طهران المروِّعة.[139]

خاتمة

أعلن الرئيس أحمدي نجاد في خطاب حديث العهد أن «التراجع قيد أنملة عن هذه السبيل [النووية] غير وارد، لقد قمنا بالثورة؛ لئلا نستمع [للغرب]... والتقنيات النووية ليست شيئاً أعطاه أحد لنا ليسترجعه منا».[140] وعلى الرغم من أن امتلاك إيران المهارات التقنية الكفيلة – في أقل تقدير – ببناء أسلحة نووية يبدو كما لو كان ظاهرة حتمية، فإن نشوب حرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران المسلحة بالأسلحة النووية ليس حتمياً.[141] وعلى الرغم من المد والجزر في حالات التوتر بين الدولتين، فإن استراتيجية إيران وعقيدتها العسكرية دفاعيتان في المقام الأول، ويبدو برنامجها النووي مسعى؛ يهدف إلى إضفاء الشرعية على دور القيادة في المنطقة، وفي العالم ذات يوم، وهو – أيضاً – محاولة لتجاوز ضعفها الملحوظ في المحافظة على الأمن الإقليمي والأمن الثقافي والأمن الديني، في وجه الغزو والنفوذ الأجنبيين.

ومع أنه يبدو من المرجح أن تسعى إيران لتعزيز مصالحها من خلال وسائل غير تقليدية؛ (أي دعمها للإرهاب)[142] – ولعل هذا السعي يزداد حالَ امتلاكها أسلحة نووية[143] – فإن إيران لا تسعى للقضاء على الولايات المتحدة الأمريكية أو إسرائيل بضربة أولى من أسلحتها النووية، على الرغم مما يفهمه بعض الناس من خطاب المتشددين فيها، بل هي ترغب في حيازة قدرات نووية تساند خطابها الانتقامي، بحيث تراعى "الخطوط الحمر"[144] التي تهدف إلى حماية الوحدة الإقليمية والوحدة السياسية للجمهورية. وقد علق هانز مورجنثاو ذات مرة بقوله: إن الأمم – لأغراض الردع وحفظ الهيبة – تعمل على «ترك انطباع قوي في نفوس الأمم الأخرى بالقوة التي تملكها الأمة بالفعل، أو بالقوة التي تعتقد بأنها تملكها، أو تريد من الأمم الأخرى أن تصدق ذلك».[145] ويبدو هذا الوصف منطبقاً تماماً على إيران، لكن ما يحتاج الزعماء والمحللون في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن يتذكروه أكثر من غيره هو أنه، على الرغم من أن إيران كانت «عدوانية ومناوئة

للأمريكيين وخطيرة، فإن سلوكها لم يكن لاعقلانياً ولا طائشاً. فقد ضبطت تصرفاتها بعناية، وأبدت ضبط النفس عندما كانت المخاطر شديدة، وانسحبت عندما عُرِّضت للتهديد بعواقب أليمة».[146] وهكذا يبدو أنه في ضوء الثقافة الاستراتيجية الإيرانية يتعين على زعماء الولايات المتحدة، أن يجدوا بصيصاً من أمل في حقيقة أنه يمكن ردع إيران - حالَ امتلاكها أسلحة نووية - من أن تستخدمها هجومياً، إذا ما عُرِّضت مقوماتها ومصادر قوتها للخطر.[147]

قوة الردع

في المواجهة الإسرائيلية - الإيرانية الاستراتيجية

أندرو تيريل

من بين الهواجس الرئيسية التي تـشغل بـال صـنّاع الـسياسة الخارجيـة الأمريكيـة في الوقت الحاضر المساعي التي تبذلها إيران لبناء قدرات، تمكّنها مـن تـصنيع أسـلحة نوويـة تستطيع أن تستخدمها لتهديد أمن دول إقليمية أخرى. إن مثل هذه المخاوف مـابرح قـائماً على الرغم من نشر ملخص لتقرير "التقديرات الاستخبارية القوميـة" لعـام 2007، تحـت عنوان "الأحكام الأساسية"، وهو الذي أشار إلى أن برنامج إيران لتطـوير أسـلحة نوويـة كان قد جمِّد عام 2003، وأنه لا يبدو أن هناك - حتى ساعة إعداد التقرير المذكور - ما يدل على استئناف العمل فيه.[1] وقد أعرب الأدميرال مايكل ماكونيـل Michael McConnell، مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية آنذاك، في معرض حديثه بإسهاب عن هذا التقريـر أوائل عام 2008، أمام الكونجرس عن أسفه حيالَ صوغ التقرير السالف الذكر؛ لأنه شعر بأنه - أي التقرير - قد ولَّد انطباعاً خاطئاً، مفاده أن إيران قد تخلَّت عن عزمها على امتلاك أسلحة نووية.[2]

وليس بخافٍ على أحد أن تاريخ برنامج التقنيات النوويـة لإيـران في مجملـه - بـما في ذلك الجهود التي بُذلت من قبل؛ للمحافظة على سرية نـشاطات التخـصيب - يـوحي أن طهران ستواصل بصورة شبه أكيدة السعي لامتلاك القدرة على تطوير أسلحة نووية، عـلى الرغم من الاستنتاجات المطمئنة التي أوردها تقرير "التقـديرات الاسـتخبارية القوميـة"؛ فإثر الإشارة إلى تعليق التقرير ظاهرياً، نجد أنه ذاته إنما يقرّ بوجـود برنـامج سري إيـراني. ولعل ما يثير القلق تحديداً، هو تركيز إيـران المتواصـل وإصرارهـا المعلـن عـلى نـشاطات التخصيب النووي؛ نظراً إلى أن تطوير قـدرات واسـعة النطـاق في مجـال التخـصيب هـو

الجانب الأكثر صعوبة من الناحية التكنولوجية، في إطار السعي لبناء سلاح نووي (على الرغم من التطبيقات البديلة لهذه التقنيات لأغراض سلمية).[3] وإضافة إلى ما تقدم - بحسب طائفة من مصادر عامة مختلفة - فإن الاعتقاد السائد لدى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية هو أن التقدم الذي تحرزه إيران باتجاه بناء قدرات الأسلحة النووية أكبر بكثير من ذلك الذي أشارت إليه تقديرات الاستخبارات الأمريكية، أو ملاحظات الأدميرال ماكونيل التي أدلى بها مؤخراً،[4] بل إن الإحساس بالقلق حيالَ النشاطات الإيرانية في هذا المجال، قد بلغ لدى القادة البريطانيين والفرنسيين حداً جعلهم يطلقون تحذيرات قوية من المشكلات المحتملة التي يمكن أن تنجم عن الإقدام على "مغامرات" نووية.[5]

وتأسيساً على ما تقدم، فإن ثمة أسئلة تطرح نفسها عن مدى خطورة إيران، حالَ حيازتها أسلحة نووية، وعن ماهية الأهداف الأساسية لهذه الأسلحة، حالَ امتلكتها بالفعل. وعلاوة على ذلك، فإن الخطاب الناري المثير الذي يتبناه الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد تحديداً، يجعل من المنطقي التساؤل عن احتمال وجود خطر جدي، بأن تهاجم إيران إسرائيل بأسلحة نووية في مرحلة لاحقة ما، من مراحل التوتر الإسرائيلي - الإيراني الشديد، (وهو الذي يمكن أن ينشأ كذلك من اندلاع حرب جديدة في لبنان شبيهة بالحرب التي اندلعت عام 2006). والسؤال ذو الصلة هنا، هو: ما الذي يمكن أن تفعله إسرائيل حيالَ وضع كهذا؟

إن هذه الدراسة ترجح بشكل جدي احتمال إخفاق الجهود الأمريكية والدولية الرامية إلى ثني إيران عن تطوير أسلحة نووية، من دون النظر إلى احتمال كون هذه الجهود ستطبق عبر فرض عقوبات اقتصادية أو سياسية، أو شن هجمات جوية، وكما سيجري بحث الأسباب لاحقاً، فإن من المشكوك فيه أن يضمن أي من هذين الخيارين وضع نهاية للبرنامج النووي الإيراني؛ فخيار الضربات الجوية - وهو أكثرهما تطرفاً - ينطوي على إمكانية تقويض أهداف أخرى، يسعى الغرب لبلوغها في منطقة الشرق الأوسط - بما في ذلك إحلال الاستقرار في العراق - على حين أنه سيعجز عن تحقيق ما هو أكثر من تأخير برنامج الأسلحة الإيراني، بضع سنوات فقط في أفضل الأحوال، والاحتمال البديل هو أن

تتمكن إسرائيل – وهي العدو الاستراتيجي المحتمل لإيران – من بناء نظام يشتمل على قوة رادعة ودفاعات صاروخية، ويرتكز أساساً على مزيج مما في حوزتها فعلاً من تكنولوجيا، وما تقوم بتطويره منها. ومن المرجح أن نظاماً كهذا، سيضعف إلى حد بعيد، فرصَ نجاح ضربة إيرانية لإسرائيل، (بل ربما سيذللها)، وسيرفع في الوقت نفسه حجم التكاليف التي سيتعين على النظام الإيراني تحملها، مقابل أي هجوم مخفق، إلى مستويات كارثية مدمِّرة. وعلى نحو مثالي، فإن إسرائيل لن يتعين عليها الاحتفاظ بقوة الردع هذه إلى ما لا نهاية، إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا ستتمكنان من صوغ استراتيجية دبلوماسية تستهدف ترويض القوة الإيرانية، وخاصة عند بروز قيادة أكثر اعتدالاً في إيران آخر المطاف. وعلى هذا الصعيد، فإن بعض قادة إسرائيل (لا كلهم)، لم يستبعد احتمال قدرة واشنطن على تحقيق مكاسب دبلوماسية مهمة، من شأنها أن تعود بالفائدة على إسرائيل في المفاوضات الجارية مع إيران.[6]

الهواجس الإسرائيلية حيالَ إيران

تمتلك إسرائيل إرثاً تاريخياً فريداً من نوعه، يجعلها حساسة بشكل خاص حيالَ المخاطر العسكرية التي يمكن أن تتهددها من قوى معادية كإيران مثلاً؛ فالمحرقة النازية، على وجه الخصوص، ماانفكت تثير لدى الكثير من الإسرائيليين إحساساً دائماً بالهشاشة، على حين تسهم محدودية تقبل إسرائيل لدى دول أخرى في الشرق الأوسط في ترسيخ شعورها المتواصل بفقدان الأمن.[7] إضافة إلى ذلك، ماتزال ماثلة في مخيلة الإسرائيليين تجارب موجعة عدة لإخفاقات أجهزة مخابراتهم، ولاهتزاز قناعتهم بحسن تقويمها قدرات القوى المعادية لهم. ولعل الانتكاسة المخابراتية الأشد هولاً هي الإخفاق في كشف الخطط المصرية والسورية، التي وضعت لشن هجوم مباغت في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1973، حتى عشية تلك الحرب.[8] وفي مرحلة أقرب عهداً، ماتزال أعداد كبيرة من الإسرائيليين توجه انتقاداتها للطريقة التي أدارت بها الحكومة الإسرائيلية حرب عام 2006، ضد مقاتلي حزب الله في لبنان، على الرغم من أن هذه المشكلات كانت

– وماتزال – تُعزى، بشكل عام، إلى إخفاق الخطط التي رسمها كبار القادة، لا إلى إخفاق مخابراتي فحسب. ومع أن بعض المراقبين من ذوي الاطلاع الواسع يعتقد أن إسرائيل لم تخسر تلك الحرب، فإن فئة قليلة جداً من الإسرائيليين يمكنها أن تقول: إن بلادها حققت النصر فيها بتحقيقها الأهداف التي أعلنها زعماء إسرائيل،[9] بل إن الإسرائيليين يميلون – بالأحرى – إلى الإعراب عن شعورهم بالإحباط: تارة حيالَ ما يعدونه نجاحات متواضعة تم تحقيقها في حرب لبنان، وأخرى حيالَ قدرة حزب الله على تعكير صفو الحياة الطبيعية في شمال إسرائيل، من خلال حملة الهجمات التي يشنها باستخدام صواريخ كاتيوشا المهلكة، برغم صِغرها.[10]

وفي الوقت الذي تتدارس فيه إسرائيل وضعها الأمني الحالي في إطار المنطقة، فإن إيران صار لها دور تتزايد أهميته يوماً بعد آخر، في سياق الفكر الاستراتيجي والمخططات العسكرية. ومع أن الهواجس الإسرائيلية حيالَ طهران اتسمت بالجدية منذ وقت ليس بالقصير، إلا أنها تعاظمت حدة بتعاظم قوة إيران ونفوذها داخل المنطقة، ولاسيما منذ إطاحة نظام صدّام حسين، تحديداً. ولنا أن نضيف هنا سلسلة التصريحات التي أطلقها الرئيس أحمدي نجاد؛ ففيها أنكر وقوع "المحرقة"، ودعا إلى إزالة إسرائيل من الوجود، وترحيل ساكنيها من اليهود إلى أوربا، أو أمريكا الشمالية، أو ألاسكا.[11] وقد حرص أحمدي نجاد إثر انتخابه عام 2005، على أن يجعل من نفسه "واجهة" للنظام، برغم الصلاحيات المحدودة التي يتمتع بها منصبه. ومع أن تصريحاته الأسوأ هي التي أدلى بها في أعقاب نشر صحف دنماركية رسوماً كاريكاتورية أرادت بها السخرية من النبي محمد، إلا أنها مافتئت تثير قلقاً عميقاً في نفوس الإسرائيليين، بل إن بعضهم يرى في مواقفه المتعصبة هذه، خطراً يتهدد وجود بلادهم ذاته.[12] ويحرص أحمدي نجاد وغيره على ترديد مثل هذه التصريحات بين آنٍ وآخر؛ للإيحاء أن خطابهم التحريضي الملتهب يعكس أكثر من فورة غضب تفجرت في وقت ما؛ بسبب تلك الرسوم الدنماركية. وبالرغم من ذلك، وبصرف النظر عن الطابع العدائي المرتبط بهذه التصريحات، فإن السؤال الأساسي فيها يكمن في أنها يمكن أن تشكل نهجاً مستقبلياً، تتعامل به إيران وإسرائيل، ويحمل في طياته استعداداً لتصعيد الأوضاع إلى حد استخدام الأسلحة النووية في وقت الأزمة.

إن تأويل خطاب أحمدي نجاد هذا؛ بوصفه مخططاً أولياً للسياسة التي ينوي انتهاجها، قد يبدو خاطئاً حالَ اتخذ من تلك التصريحات وحدها، أساساً له. ويتنبأ نجاد - من بين ما يتنبأ به - أن "القوة الشيطانية" الأمريكية سيُقضى عليها قريباً شأنها شأن إسرائيل، برغم أنه يصعب كثيراً ترجمة هذه "النبوءة" إلى خطة أو سياسة منطقيتين يمكنهما تحقيق نتيجة كهذه. وليس واضحاً أيضاً في هذا السياق كون التلميح بأن توجيه ضربات عسكرية إيرانية لإسرائيل هو السبيل المثلى للاستعداد لمجابهة كهذه أوْ لا، لو أن إيران تعد الحرب خياراً واقعياً حقاً. وعلى العكس من ذلك، فمن الجائز أن تصريحات متطرفة مثل هذه، يمكن أن تعود بالفائدة على الرئيس الإيراني من الناحية السياسية؛ إذ يستطيع من خلالها صرف الأنظار وسهام النقد عن سياساته الاقتصادية التي اتسمت بالعجز والفوضى، والتي تمخضت عن تنامي معدلات الفقر في البلاد، برغم الارتفاع المذهل الذي شهدته أسعار النفط قبل نشوب الأزمة الاقتصادية العالمية عام 2008. إن محاولاته - حتى قبل انهيار هذه الأسعار أواخر العام نفسه - لإدارة الاقتصاد الإيراني (على أنه أداة رعاية) لم تفضِ إلا إلى تصاعد معدلي التضخم والبطالة بنسبة 30 ٪ ونسبة 10٪ (على التوالي)، فضلاً عن اتساع ظاهرة البطالة المقنعة إلى حد كبير جداً.[13] وسوف تواجه شعبيته مستقبلاً، تحدياً صعباً؛ جراء تناقص موارد الرعاية حالَ استمرار الانخفاض الشديد في أسعار النفط.

وعلى الرغم من الإفراط في تبسيط السيناريو الشائع لنظام "انتحاري" يأتي إلى السلطة في طهران ويشن هجوماً على إسرائيل، حالما يصبح - من الناحية التكنولوجية - قادراً على ذلك، فإن هناك سيناريوهاتٍ أخرى أكثر تقبلاً، ربما يفكر الإيرانيون، وفقاً لها، في توجيه هجوم كهذا، ولعل أكثر هذه السيناريوهات ترجيحاً نجده مُمَثَّلاً بإشعال فتيل أزمة بين طهران وواشنطن؛ فمادامت الأراضي الأمريكية تقع خارج مدى ما هو متوافر فعلاً، من الأسلحة الاستراتيجية الإيرانية، أو ما يتوقع توفيره، فليس في إمكان إيران ردع الولايات المتحدة الأمريكية، بما تمتلكه من صواريخ وطائرات، إلا بتهديد حلفاء أمريكا أو قواتها المتمركزة في المنطقة. وفي أي سيناريو يقوم على نشوب التوتر بين الولايات المتحدة وإيران، فإن إسرائيل قد تكون هدفاً طبيعياً توجه طهران ضرباتها له، وربما يعقب ذلك انهيار محتمل في الردع، واندلاع الحرب فعلاً، وعلاوة على ذلك - حال اقتنع الإيرانيون أن

الهجوم الأمريكي المحتمل الذي قد يوجه لهم مستقبلاً سيمثل فعلياً محاولة لتغيير النظام الحاكم – من المرجح جداً أنهم سيفكرون في ضرب إسرائيل بما يتوافر لديهم من منظومات وقدرات حربية. والقيادة الإيرانية، في مثل هذا السيناريو، ربما ستضع نفسها في موقع الطرف الذي ليس لديه إلا القليل ليخسره.

ليس للمرء أن يستبعد كلياً إقدام إيران – في أثناء أزمة ما، تندلع مستقبلاً – على مهاجمة إسرائيل؛ ومن ثم، فإن امتلاك السبل الكفيلة بردع أي هجمات إيرانية، ينبغي أن يكون من بين أولويات إسرائيل. والقوة الرادعة يمكن أن تنجح إلى حد كبير في تقويض الحيوية الاستراتيجية لخيار كهذا بالنسبة إلى إيران، والحيلولة دون اندلاع حرب شرق أوسطية جديدة. وبرغم هذا، فإن من المهم التذكير بأن إيران تواجه قيوداً أيديولوجية وعملياتية تجعلها تستبعد – في ظل الأوضاع الراهنة – شن مثل هذه الهجمات بشكل يكاد يكون تاماً، باستثناء الظروف الطارئة القصوى؛ ومن هذه القيود: (1) الأضرار المصاحبة الناجمة عن الهجمات الإيرانية التي قد تودي بحياة أعداد كبيرة إلى حد مذهل من الفلسطينيين، فضلاً عن إلحاق الأذى بمواطني دول عربية/ مسلمة عدة متاخمة لإسرائيل، (2) احتمال استدعاء إسرائيل قواتها الاستراتيجية لشن عملية انتقامية واسعة النطاق؛ رداً على ضربة إيرانية محتملة، (3) امتلاك إسرائيل منظومةً دفاعات صاروخية قوية آخذة في الاتساع، ونظاماً للدفاع المدني يشتمل على ملاجئ ومنشآت أخرى أُقيمت تحت الأرض. وهذه العوامل ينبغي أخذها مجتمعة في الحسبان عند تحديد القيود التي تعترض طريق طهران بالفعل، وعند تقصي السبل التي قد تستطيع إسرائيل من خلالها فرض المزيد من القيود على إيران.

العلاقات الفلسطينية - الإيرانية والأضرار المصاحبة

ماانفكت القيادة الإيرانية تصور نفسها، عبر الكثير من المحافل الدولية والإسلامية؛ بوصفها أول المدافعين عن الفلسطينيين. وفي هذا السياق، تواصل إيران أيضاً تحويل مبالغ كبيرة من الأموال إلى حركة حماس، وغيرها من المنظمات ذات النزعة القتالية؛ دعماً لعملياتها التي تستهدف إسرائيل.[14] وقد يصعب أحياناً التسليم بصحة ادعاء إيران بأنها تقف في طليعة حماة الفلسطينيين؛ نظراً إلى أنها ليست دولة عربية، ولا تربطها بالفلسطينيين

أواصر نسب إثني. إلا أن إيران - برغم ذلك - ماتزال تعمل بنشاط ودأب على ترسيخ هذا الموقع المتميز الذي تنسبه إلى نفسها؛ فكثيراً ما يتحدث زعماؤها عن معاناة الشعب الفلسطيني، وعما يكابده من آلام؛ جراء الاحتلال الإسرائيلي؛ وعلى سبيل المثال، فإن الرئيس أحمدي نجاد لم يألُ جهداً في توسيع نطاق علاقات إيران بالقادة الفلسطينيين الإسلاميين، وماانفك يدعو إلى ذلك اليوم الذي «يعود فيه جميع اللاجئين [الفلسطينيين] إلى وطنهم».[15] وتحرص الزعامة الإيرانية على ألا تضع نفسها في صورة القوة المعادية لإسرائيل فحسب، بل إنها في واقع الأمر تظهر نفسها بأنها أكثر من يمكن الاعتماد عليه بشأن حقوق الفلسطينيين؛ فعوضاً عن تقديم الدعم لـ "حل الدولتين"، تسعى إيران للقضاء على إسرائيل وإقامة دولة فلسطينية إسلامية بدلاً منها، أما من الناحية الأيديولوجية، فلا قيمة لأول هذين الهدفين بالنسبة إلى طهران، ما لم يكن في الإمكان تحقيق ثانيهما أيضاً.

ومسألة الأضرار الجانبية المصاحبة التي يمكن أن تلحق بالفلسطينيين هي الأهم بين المسائل السياسية والأيديولوجية التي يواجهها المحللون الاستراتيجيون الإيرانيون، على الرغم من أن النقاشات التي تدور حول الخيارات الاستراتيجية الإيرانية، نادراً ما تأتي على ذكر هذه المسائل. فمن غير الممكن مهاجمة إسرائيل بأسلحة نووية من دون تعريض أعداد كبيرة من الفلسطينيين المقيمين بجوار إسرائيل للغبار الإشعاعي الذي ينجم عن هجوم كهذا، وفي هذا الشأن، فإن من الصعب تحديد المدى المهلك لهذا الغبار؛ نظراً إلى أنه يعتمد على مجموعة متنوّعة من العوامل؛ مثل: اتجاه الرياح، ونوع الانفجار (أهو أرضي أم هو جوي؟)، وقوة الانفجار. ومهما يكن من أمر، فإن المعدلات العالية للإصابات المميتة يمكن أن تقع على بعد عشرين ميلاً، في ظل أوضاع طبيعية.[16] وإضافة إلى ما تقدم، فإن هناك نحو مليون من المواطنين العرب الإسرائيليين، ومقيمين غيرهم، يقطنون في مناطق مجاورة للمراكز السكانية اليهودية. وثمة احتمال واضح في أن يُعرَّض فلسطينيو الضفة الغربية وقطاع غزة للإصابة بهذا الغبار الإشعاعي. ولعل من سوء طالع الفلسطينيين أن باتت قدرات منظومات الصواريخ الإيرانية البعيدة المدى، ودقتها في إصابة أهدافها،

موضع شكوك جدية؛ جراء المشكلات المستمرة التي ارتبطت بالبرنامج الإيراني لاختبار الصواريخ؛[17] ففي حال انحرفت الصواريخ الإيرانية - ولو قليلاً - عن أهدافها، فلسوف يدفع الفلسطينيون، أو الأردنيون، أو اللبنانيون، أو السوريون ثمناً للهجوم النووي الإيراني، أكبر من ذلك الذي كان يجب على الإسرائيليين دفعه، وتزداد هذه المشكلة تفاقماً إذا علمنا أنه ما من دولة عربية - خلافاً لإسرائيل - أنشأت لنفسها نظاماً عصرياً للدفاع المدني يحتمي به مواطنوها؛ ومن المؤكد أنه ليس بينها - أي الدول العربية - من أقامت برنامجاً للصواريخ الباليستية الدفاعية. وإذا كان يمكن تخيل احتمال قبول إيران بمقتل أعداد كبيرة من المسلمين، فإن القيادة الإيرانية لن يمكنها اتخاذ قرار كهذا ببساطة ويسر، فضلاً عن أنه لا يتسق وبياناتها وتصريحاتها التي لا تقف عند حدٍّ عن اهتمامها بشؤون الفلسطينيين وقضاياهم.

وعلاوة على ذلك، فإن من المتوقع أن يعرب بعض أعضاء القيادة الإيرانية عن تحفظهم على أي هجوم ضد إسرائيل، قد ينطوي على خطر الإضرار بالقدس، ثالث المدن المقدسة الإسلامية، وغالباً ما يأتي الخطاب الإيراني عن استعادة الفلسطينيين للقدس حاداً، وهو - على أي حال - يرتبط ارتباطاً مباشراً بمطالب إيران بتولي زعامة العالم الإسلامي. إن القيادة الإيرانية على وجه التخصيص، تتعامل وقضية القدس؛ بوصفها أحد الاهتمامات التي تتخطى الحقوق الوطنية الفلسطينية، ويتم تفهمها على نحو أفضل؛ بوصفها قضية إسلامية؛ وعلى هذا، فإن إيران تنشد بسط السيادة الإسلامية على القدس لا تدميرها. ولا ريب في أن القول: إن من المقبول تدمير المدينة، وقتل أعداد كبيرة من المسلمين، يتناقض كلياً والخطاب الإيراني السائد وتعاليم مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية آية الله الخميني، وهو الذي كان قد عبَّر عن غضب شعبي عام حيالَ ما كان يصفه بالاحتلال الإسرائيلي للقدس، وعن دعمه مزاعمَ أن إسرائيل حاولت تدمير المسجد الأقصى عام 1969، حين سبب حريق أشعله شخص "مختل العقل"، إلحاقَ أضرار جسيمة بالمسجد.[18] وخلال بعض المنعطفات العصيبة من مسار الحرب الإيرانية - العراقية، دأب عدد من أركان القيادة الإيرانية على زعم أن الجمهورية

الإسلامية "ستحرر القدس" بعد أن تنجز مهمتها في العراق، وكان الخميني قد حدد أيضاً ما أسماه "يوم القدس" [الجمعة الأخيرة من كل رمضان]؛ لتنطلق فيه الدعوات إلى تدمير إسرائيل وفتح القدس.

ومايزال مناصرو نزعة التطرف التي تبناها الخميني، بما فيهم أحمدي نجاد، يطالبون حتى اليوم بـ "تحرير" القدس؛ ويكاد يكون مؤكداً أن القادة الإيرانيين لا يتبنون خطاب المواجهة الرنان ضد إسرائيل؛ إلا محاولة لتقديم الدعم للقضية الفلسطينية. بيد أن شكوكاً كبيرة تحيط باحتمال إقدام هؤلاء القادة على مهاجمة إسرائيل بأسلحة نووية بالشكل الذي يحول دون تأسيس دولة فلسطينية وتدمير القدس. وعلى الرغم من أن مخاوف الإيرانيين من وقوع أضرار جانبية مصاحبة، ومقتل أعداد كبيرة من المسلمين، تبدو أثقل وطأة على بعض قادة إيران من بعضهم الآخر، فإن من الواضح أن هذا يمثل عاملاً لا بد لإيران من أن تأخذه في الحسبان، في أي حسابات استراتيجية تجريها بهذا الخصوص.

قوة الردع

يشكل الردع الذي تمتلكه إسرائيل المشكلة الرئيسية الثانية التي يواجهها المخطّطون الاستراتيجيون الإيرانيون، ويسود الاعتقاد بأن الإسرائيليين يمتلكون أعداداً كبيرة من الأسلحة النووية الجاهزة للإطلاق، وهي التي قد يستخدمونها ضد إيران في أي مواجهة نووية. وعلى حين أحيطت تفصيلات ترسانة الأسلحة الاستراتيجية الإسرائيلية هذه بسرّية شديدة، يميل معظم المراقبين في الشرق الأوسط إلى الاعتقاد بأنها ترسانة واسعة ومتنوّعة؛ وهو اعتقاد بات يمثل عنصراً مهماً من عناصر الردع، إن هو استند إلى مثل هذه التصورات. ومن حين إلى آخر، تكتسب تقويمات القوة النووية الإسرائيلية هذه قوة كبرى من خلال تقارير إعلامية غربية، أو تصريحات لزعماء غربيين، تتعلق بالقوة الحربية الإسرائيلية عموماً. ولعل أحد النماذج التي تلفت النظر إلى مثل هذه التصريحات هو البيان الذي نشره جيمي كارتر الرئيس الأمريكي الأسبق، في أيار/ مايو عام 2003؛ فقد قال كارتر في مؤتمر صحفي عقده في لندن: إن «في حوزة الولايات المتحدة أكثر من 12000

سلاح نووي، ولدى [روسيا] العدد نفسه تقريباً، بينما تمتلك بريطانيا وفرنسا بضع مئات من هذه الأسلحة، أما إسرائيل فلديها 150 سلاحاً منها أو أكثر».[19] وعلى صعيد تحليلي، تلمح دراسة أعدها أنطوني كوردسمان، الباحث في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، ونشرت في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2007، أن إسرائيل ربما تمتلك القدرة على تدمير الدولة – القومية الإيرانية، من دون مساعدة من أي بلد آخر، اعتماداً على دقة أسلحتها النووية وقوتها فقط.[20] ومن آنٍ إلى آخر، يتخذ الإسرائيليون من الخطوات ما يذكرون به طهران بقدرتهم على توجيه ضربات انتقامية؛ ففي حزيران/ يونيو عام 2008، شاركت 100 طائرة مقاتلة إسرائيلية أو أكثر، في مناورات عسكرية أجريت في أجواء اليونان شرقي البحر المتوسط، في ظل ظروف تحاكي ظروف ضربة جوية لإيران.[21]

وحتى لو أن طهران لم تكن لتعدل عن مواقفها أمام احتمال صريح وافتراض مفزع بتعرضها للإبادة على يد إسرائيل، فإن الإيرانيين على وعي تام بطبيعة العلاقة القائمة ما بين إسرائيل والولايات المتحدة. وسواء أكانوا على صواب أم كانوا على خطأ، فهناك بين القادة الإيرانيين من آمن أن أي هجوم على إسرائيل سيدفع بواشنطن إلى القيام بعملية انتقامية ضد إيران،[22] بل إن هذا الاعتقاد بات يُرسَّخ بين الفينة والأخرى بفعل ما يدلي به أحياناً بعض كبار الساسة الأمريكيين من تعليقات؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ نجد أن هيلاري كلنتون – عضو مجلس الشيوخ آنذاك – صرحت في نيسان/ إبريل عام 2008، في أثناء حملتها الانتخابية الرئاسية قائلة: «إذا بلغت الحماقة بإيران حداً يجعلها تفكر في شن هجوم على إسرائيل في غضون السنوات العشر القادمة، فلسوف يكون باستطاعتنا إزالتها من الوجود تماماً».[23] وعلى الرغم من أنها أدلت بتصريحها هذا في ذروة حملتها السياسية، فإن استخدام تعبير "إزالتها من الوجود" لم يكن استخداماً ذكياً، ولعل الزعامة الإيرانية لم ترحب كثيراً بقرار الرئيس باراك أوباما اختيار السيناتور هيلاري كلنتون لشغل منصب وزيرة الخارجية.

وهذا التصور القائل: إن إيران قد توجه ضربات نووية لإسرائيل من دون أخذ قدرات هذه الأخيرة على شن هجوم مضاد في الحسبان، يجري أحياناً وصفه بإيمان متطرف

بمفهوم "الإمام المنتظر" والدمار الافتراضي في آخر الزمان؛ مادام هـذا الـسيناريو يمكـن التعجيل بحدوثه من خلال مهاجمة إسرائيل (عدو الإسـلام)، بأسـلحة نوويـة.[24] وتتـأتى هذه المخاوف من أحاديث عدد من أركان النظام الإيراني عن "الإمام الغائـب" في سـياق المذهب الشيعي، وتضرعهم لعودته؛ بصفته "المهدي" المنتظـر، فـضلاً عـن تبنـيهم أيـضاً الخطاب الإيراني الشديد الكراهية لإسرائيل. غـير أن زئيـف مـاغين الباحـث الإسرائـيلي المتخصص بالمذهب الشيعي الإيراني، يشكك في هـذا التفـسير للفكـر اللاهـوتي الإيـراني السائد، مشيراً إلى أن رؤية أخروية كهذه لم تدرج ضمن مفردات الـسياسات الإيرانيـة، سواء الداخليـة منهـا أو الخارجيـة. وفي واقـع الأمـر، فـإن الانتـصارات التـي حققهـا الثوريون الإيرانيون – بإسقاط الشاه وحماية الثورة – كانـت قـد تطلبـت زعامـة تتبنـى أفكاراً براجماتية لا رؤى دينية صرفاً، وبحسب ماغين، فإن «إطلاق سـلاح نـووي ضـد أي هدف؛ سيعني نهاية حلمها الدنيوي الكبير القائم على ظهور "الإمام المنتظر"، ونشر العقيدة الإسلامية في كـل أرجـاء الأرض؛ خـضوعاً لمـذهب الـشيعة الأماميـة (الاثنـا عشرية)، بل سيعني دمار إيران نفسها».[25]

إن إيران – برغم ما يتميز به قادتها من حماسة مفرطة وخطاب منمق طنان – مابرحت تكشف عن قدرتها على انتهاج سياسة عقلانية قائمة على تحقيق المصالح الذاتية، سواء على صعيد الدفاع الوطني أو صعيد الدفاع الخارجي، وحرصها على تفادي إثارة حرب نوويـة عمداً. وفي عام 2003 مثلاً، اتخذت إيران خطوات جدية باتجاه تحسين علاقاتها بالولايـات المتحدة الأمريكية؛ خوفاً من تعرضها لهجـمات أمريكيـة في أعقـاب إسـقاط نظـام صـدّام حسين في العراق، بل إن بعض زعماء إيـران راضـون عـن اكتـساب المركـز الاجتماعـي باستخدام سياسة القوة وآليات الرعاية والفساد، بـدلاً مـن الاسـتعانة بـالفكر الغيبـي القائم على ظهور الإمام المنتظر؛ ومن هذه الرموز: الـرئيس الإيـراني الـسابق عـلى أكـبر هاشمي رفسنجاني الذي يترأس مؤسستين حكوميتين مؤثرتين؛ هما: "مجلـس تـشخيص مصلحة النظام" و"مجلس الخبراء"،[26] على الرغم من أنه كان من بين أبرز أعوان آيـة الله الخميني في أولى سنوات الجمهورية الإسلامية، شأنه شأن غيره، ممن بلغـت "ثـوريتهم" مرحلة الشيخوخة.

وثمة عامل آخر يسهم في تعقيد الخطط الاستراتيجية الإيرانية، يُمثِّل برنامج الدفاعات الصاروخية الإسرائيلية الآخذ في التوسع، وهو الذي يتكون من منظومتي: صواريخ "آرو" الإسرائيلية، وصواريخ "باتريوت" الأمريكية الصنع من طراز PAC-2. وفي مقابل هذا، فليس في حوزة إيران من أسلحة قادرة على اختراق الدفاعات الإسرائيلية غير صواريخ باليستية طويلة المدى، ماتزال حتى الآن خاضعة للتطوير والاختبار. ويكاد يكون من المؤكد أن ما تمتلكه إيران من طائرات ومنظومات محمولة بحراً أعجز من أن يكسر الطوق الدفاعي الذي تقيمه الطائرات المقاتلة الإسرائيلية وغيرها من النظم الدفاعية.[27] وفي هذا الشأن، لا بد من القول: إن منظومات الدفاع الصاروخية تشكل أحد الضمانات الأشد أهمية لأمن إسرائيل مستقبلاً، على الرغم من أنها تحفل بالكثير من التحديات، سواء ما يتصل منها بالجانب التكنولوجي، أو بنظم القيادة والسيطرة.

ومن هنا، فالإسرائيليون لا يدخرون اليوم وسعاً لتطوير دفاعاتهم الصاروخية الحالية وتوسيعها؛ وصولاً بها إلى نظام محكم، متعدد الخطوط الدفاعية؛ ليكون قادراً على حماية إسرائيل من عدو محتمل، أو أي تهديدات تجتمع ضدها. ولا ريب في أن بلوغ مستوى دفاعي كهذا سيتطلب توفير عدد من مختلف المنظومات الاعتراضية التي تصمم خصيصاً لتدمير الصواريخ الباليستية القادمة بمدياتها المتنوعة وارتفاعاتها المختلفة؛ والقصد هنا يُمثَّل بتمكين الصواريخ الدفاعية الأطول مدى - وهي التي تحلق على ارتفاعات شاهقة (من طراز "آرو-3" التي لما يتم نشرها بعد) - من تدمير جميع الصواريخ المتجهة صوب إسرائيل، أو تدمير معظمها، في ساحات اشتباك تقع بعيداً عنها، أما تلك التي ستخترق الخط الدفاعي الأول هذا، فسيتم التصدي لها بمنظومات اعتراضية أقصر مدى؛ ومن بينها: صواريخ "آرو-2"، وصواريخ "باتريوت" من طرازي PAC-2، وPAC-3.[28]

ومهما يكن من أمر، فإن العمود الفقري لهذه المظلة الدفاعية، يظل منظومات صواريخ "آرو" الاعتراضية التي مابرحت قيد التطوير منذ منتصف عقد الثمانينيات؛ حيث غدت تحظى بأولوية قصوى؛ نتيجة للضربات الصاروخية العراقية لإسرائيل عام

1991؛ فقد أطلق عليها وقتذاك 39 صاروخاً من طراز سكود (صواريخ "الحسين") بعد زيادة مدياتها، وأمكن بعضها اختراق الخط الدفاعي الإسرائيلي المؤلف من صواريخ "باتريوت"، وأصاب أهدافه برؤوسه الحربية التقليدية.[29] ولم تكن صواريخ "آرو" قد وضعت قيد الخدمة يومذاك. وقد أسهمت الدروس المستفادة من تلك الواقعة في تعاظم اهتمام إسرائيل على نحو كبير بتطوير دفاعاتها الصاروخية.

ومع أنه لا وجود على الأرجح لنظام دفاعي صاروخي خالٍ من الثغرات، فإن تأمين الحماية لبلد صغير، ذي عدد محدود من نقاط الاستهداف، أقدر على التحقيق من حماية مساحة واسعة من الأرض؛ كتلك التي تتألف منها الولايات المتحدة الأمريكية. غير أن من بين الهواجس المهمة التي تشغل بال الإسرائيليين – فيما هم عاكفون على تطوير نظم دفاعاتهم الصاروخية – هو ذلك الذي يكمن في احتمال قيام إيران بإنتاج صواريخ أكثر تطوراً، وتحمل معها أدوات مساعدة قادرة على خداع المنظومات الدفاعية الإسرائيلية. وفي إطار الجهود الرامية إلى إجهاض القدرات التكنولوجية الإيرانية، يبرز عاملان مهمان؛ هما: التفوق الذي تتمتع به إسرائيل على الصعيد التكنولوجي، وتعاونها المستمر والولايات المتحدة في مجال الدفاع الصاروخي. وعلى الرغم مما تتميز به الدفاعات الصاروخية الإسرائيلية من قوة وفاعلية، فإن هناك من المراقبين من يشير إلى حقيقة، مفادها: أن هذه الدفاعات لم يسبق أن اختبرت في ظروف قتالية فعلية قط، بمن فيهم أشد دعاة بناء مثل هذه الدفاعات. وهذه الحقيقة باتت في واقع الحال، تقف وراء الشكوك التي تحيط بقدرة هذه المنظومات على حماية إسرائيل من هجمات صاروخية فعلية. وفي هذا السياق، تظل ذكرى الضربات الصاروخية التي عُرِّضت لها إسرائيل خلال عملية "عاصفة الصحراء" ماثلة في الأذهان؛ بوصفها سابقة مثيرة للقلق.

وتحظى الدفاعات الصاروخية الإسرائيلية بدعم قوي من نظام حيوي للدفاع المدني، يشتمل على شبكة من الملاجئ والمشروعات التي تخضع لإشراف وإدارة من قيادة الجبهة الداخلية وهيئة الطوارئ الوطنية التابعتين لقوات الدفاع الإسرائيلية.[30] إن نظام الدفاع المدني الإسرائيلي بوضعه هذا، أمسى يشكل الخط الدفاعي النهائي بالنسبة إلى عامة

الإسرائيليين، ويتم التعامل وإياه بكل جدية؛ حتى بات الكثير من التدريبات التي تُجرى في إطاره يكتسب أهمية يندر مثيلها في الكثير من المجتمعات الأخرى، ولعل أضخمها ذلك الذي نفذ في إسرائيل تحت عنوان "نقطة التحول"، خلال الفترة 6 – 10 نيسان/ إبريل عام 2008، وهو الذي اشتمل على محاكاة هجماتٍ تُعرَّض لها مدن إسرائيلية مختلفة، ولاستيلاء على مركبات خاصة لاستخدامها في حالات طوارئ كهذه، ولعملية نقل رئيس الوزراء وموظفيه إلى ملجأ مقام تحت الأرض.[31] بل إن هذا الأخير وأعضاء حكومته أدوا دورهم كاملاً في هذه التدريبات. وانسجاماً وهذا السيناريو، فقد تعين عليهم اتخاذ عدد من القرارات التي قد يتعين عليهم اتخاذها في مثل هذه الحالات؛ استناداً إلى طبيعة الهجمات والعدد الكبير من الإصابات التي توقعها بين البشر، وكما تتخيلها تدريبات نظام الدفاع المدني هذه.

العقوبات والهجمات الاستباقية

أقر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة حتى الآن ثلاث مجموعات من العقوبات تجاه إيران؛ جراء إخفاقها في الوفاء بأحكام معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية التي انضمت إليها إيران، وإلى جانب تدابير عقابية أكثر شمولاً فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية ودول غربية أخرى شتى على إيران، فإن عقوبات مجلس الأمن تلك قد ألحقت بها مصاعب اقتصادية جمة، وإن هي لم تدفعها إلى التخفيف من مساعيها الدائبة لامتلاك التكنولوجيا النووية.[32] وفي الوقت الذي تدعو فيه واشنطن بقوة إلى فرض عقوبات إضافية على إيران، فإنها – أي واشنطن – لم تنلْ إلا قدراً ضئيلاً من الدعم من لدن قوى كبرى؛ كالصين وروسيا، الدولتين الدائمتي العضوية في مجلس الأمن، بل إن إيران كانت قد حصلت بالفعل على قدر كبير من التقنيات النووية من مصادر متعددة شتى، كان منها العالم الباكستاني عبد القدير خان.[33] وهكذا، فإن واقع الحال إذاً، يقول: إن فرض حظر على هذه التقنيات ليس كفيلاً – مهما بلغ من الدقة والصرامة – بوضع حد لبرنامج الأسلحة النووية الإيراني؛ نظراً إلى أن الإيرانيين قد سبق لهم الحصول فعلاً على تقنيات مابرحت – برغم قدمها – صالحة لتيسير عمليات تخصيب اليورانيوم.

وتبرز هنا أيضاً مسألة الدوافع التي تقف وراء هذه التحركات؛ فالقيادة الإيرانية ترى أن لديها من الأسباب ما يكفي للمضي قدماً على طريق إنتاج أسلحة نووية؛ انطلاقاً من حاجتها إلى حماية النظام الحاكم فيها؛ فالرئيس الأمريكي جورج بوش الابن كان قد وضع عام 2002، النظام الإيراني طرفاً في "محور الشر"، جنباً إلى جنب مع كوريا الشمالية والعراق، والولايات المتحدة هي التي غزت العراق، الدولة غير النووية، في العام التالي وأطاحت نظامه؛ على حين لم تتعرض كوريا الشمالية، التي يُعتقد أنها تمتلك بالفعل أسلحة نووية، للغزو أو حتى التهديد بالغزو. وفي هذا الشأن، خلص عدد من المراقبين إلى أن بيونج يانج استطاعت "ردع" واشنطن. ولنا هنا أن نضيف إلى حالة الانفصام والازدواجية في المواقف هذه، ما تزعمه الحكومة الإيرانية من أنها تعاونت في ذلك الوقت والولايات المتحدة الأمريكية إزاء ما يتعلق بالمسألة الأفغانية، وأن العون الذي قدمته إيران كانت أهميته بالغة للجهود الأمريكية الهادفة إلى إحلال الاستقرار في أفغانستان.[34] وعلى وجه الإجمال، فإن خطاب الإدارة الأمريكية القوي الذي عكس تأكيدها "مبدأ بوش" وسياسة "الحرب الاستباقية"، كان - بعد أن أعقبه غزو العراق - قد استثار حالة من التوتر الشديد في طهران؛ ومن هنا، فقد تحولت الرغبة في "ردع" واشنطن إلى هدف ملح بالنسبة إلى الزعامة الإيرانية التي كانت قد عقدت العزم على حماية نظامها الإسلامي، وعلى الحؤول دون تأسيس أنظمة حاكمة على الطريقة الغربية في منطقة الشرق الأوسط.

ولعل الاستراتيجية التي لا يرقى إليها شك، ويمكن أن تحقق أهدافها بشكل مباشر، تُمثَّل - من أجل إنهاء البرنامج النووي الإيراني - بمهاجمة ما لدى إيران من منشآت نووية ومواقع صاروخية، وقد تمكنت أجهزة المخابرات الإسرائيلية، وبعض الوكالات الاستخبارية الغربية، من تشخيص عدد من هذه المنشآت والمواقع، على الرغم مما يحيط نجاح هذه الاستراتيجية من شكوك قوية. ومع أن هذا الخيار يبدو مقنعاً من الناحية النفسية، فمن غير المرجح أن يخدم المصالح الأمريكية والإسرائيلية البعيدة الأجل، باستثناء منع طهران من شن هجوم صاروخي على المدى القريب. وربما لا تفضل الولايات المتحدة مساندة هجوم إسرائيلي مباشر كهذا، ومن المشكوك فيه أن تقدم إسرائيل على شنه، من دون أن تضمن دعماً أمريكياً له؛ فالولايات المتحدة والعالم بأسره، يواجهان

في الوقت الحاضر ركوداً اقتصادياً حاداً، وأي حرب جديدة تندلع في الشرق الأوسط ستفضي قطعاً إلى تقوية التيارات الاقتصادية السلبية، بل من الجائز أن تغرق العالم في اضطرابات اقتصادية أشد حدة، ولا ريب في أن مهاجمة إيران ستسبب نقصاً حاداً في الإمدادات النفطية، وفي ارتفاع أسعار النفط إلى مستويات، من شأنها إيقاع الشلل بالاقتصادات الغربية؛ فتزيد - من ثم - تعقيد العواقب الاقتصادية للحرب.[35]

وعلى صعيد آخر، فإن أعداداً كبيرة من العراقيين - ولاسيما الشيعة منهم - ستتطلع إلى مثل هذا الهجوم بكراهية وحقد شديدين، في الوقت الذي سيسود الاعتقاد فيه لدى أغلب الدول الإسلامية بأن إسرائيل إنما تعلن الحرب على إيران بالتواطؤ بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية. وفي ظل ظروف كهذه، من المحتمل كثيراً أن تنطلق تظاهرات واسعة النطاق ضد المصالح الأمريكية، وقد يستعيد بعض العناصر المتطرفين؛ كمقتدى الصدر مثلاً، شيئاً من مصداقيتهم المتداعية، وربما ستتضاءل إلى حد بعيد فرص البقاء أمام أي حكومة عراقية تبدي استعداداً للتعاون وواشنطن، في أعقاب شن الهجوم على إيران، وتتعاظم احتمالات نشوب الفوضى. وتلك الأعداد الكبيرة من الشيعة العراقيين الذين ارتضوا، على أقل تقدير، وجوداً أمريكياً في بلادهم، ربما سيكون لديهم من الأسباب ما يكفي ليجعلهم يعيدون النظر في هذا الخيار. والغالبية من عامة العراقيين ستشعر بالاستياء حيالَ أي تحرك أمريكي - بما في ذلك تحريض إسرائيل على توجيه ضربة عسكرية لإيران - وقد ترى أنه يشكل خرقاً لاتفاقية وضع القوات الأمريكية في العراق التي أبرمت معه بعد مفاوضات شاقة.

وفي بقاع كثيرة من العالم في مجمله - وبخاصة في العالم الإسلامي - سوف تُعد الولايات المتحدة الأمريكية ضالعة في أي هجوم عسكري يستهدف إيران، بصرف النظر عن مشاركتها في التخطيط الفعلي له أو عدم مشاركتها فيه؛ ولكي يكون ضرب المنشآت النووية الإيرانية مؤثراً، سيتعين على عدد كبير من الطائرات الإسرائيلية المرور بشكل مكرور عبر أجواء دول عربية أياماً عدة، إن لم نقل أسابيع، والعراق ربما هو أحد البلدان الأكثر نفعاً إزاء ما يتعلق بتأمين ممرات جوية لهذه الطائرات. وإذا كان في مقدور دول

عربية أخرى أن تنكر علناً فتح أجوائها أمام الإسرائيليين، فإن العراق؛ بسبب قربه الجغرافي من إيران، لن يجد من يصدّقه إلا القليل جداً. وبحسب جيورا إيلاند Giora Eiland، الرئيس الأسبق لمجلس الأمن القومي الإسرائيلي، فإن «إسرائيل ليس في وسعها توجيه ضربة كهذه، [ضد إيران]، من دون التنسيق بينها وبين الأمريكيين ماداموا موجودين في العراق».[36] وفي واقع الحال، فإن نظرة عابرة إلى خريطة المنطقة ستؤكد أنه على حق. وبالنتيجة، فإن من شأن أي هجوم تشنه إسرائيل على إيران أن يعزز مكانة هذه الأخيرة على الصعيد السياسي، وأن يسبب انهيار الجهود الرامية إلى فرض العزلة على طهران، دبلوماسياً أو اقتصادياً.

أضف إلى ذلك أن أي هجوم على إيران سيضفي الشرعية على نظام طهران الحالي، وبخاصة التيار المتشدد فيه، مادام المواطنون الإيرانيون عامة سيوحدون صفوفهم في مواجهة خطر خارجي يتهدد بلادهم كهذا. وفي هذا الخصوص تحديداً، فإن للإيرانيين سجلاً طويلاً من الذكريات، ومن المرجح أن تقوى فرص امتداد العمر السياسي بالقيادات المتطرفة عقوداً من الزمن في أعقاب الهجوم المحتمل.[37] ولا شك في أن ديمومة الأيديولوجيات المتطرفة في إيران ستصبح من عواقب هذا الهجوم المثيرة للأسى. ووفقاً لكل الاحتمالات، سوف يجري إسكات أصوات القادة الإصلاحيين؛ من أمثال: الرئيس السابق محمد خاتمي، وقد سبق لمحمد خاتمي أن تصدى علناً لأصحاب التيار المتشدد، بمن فيهم أحمدي نجاد؛ فقد قال خاتمي في رده على تصريحات هذا الأخير ذات الصلة بـ "المحرقة": إن «علينا التعبير عن آرائنا من دون وجل أو تردد، حيالَ مقتل ولو يهودي واحد، ولا تنسوا أن من بين جرائم هتلر، والنازية، والحركة الاشتراكية القومية الألمانية، المذابح التي أودت بأناس أبرياء، من بينهم الكثير من اليهود».[38]

وفي الوقت الذي يشكك فيه عدد من القادة والمحللين السياسيين بقدرة إسرائيل من الناحية الفنية على تدمير المنشآت النووية الإيرانية، فإن هناك من الخبراء المتخصصين من يوحي أن مهمة كهذه تتخطى حدود الإمكانات الإسرائيلية الراهنة،[39] فإن إسرائيل بحسب رأيهم، قد تكون قادرة على شن غارة، ولكنها ليست قادرة على حملة جوية واسعة

النطاق، وممتدة زمنياً. بل إن إيهود أولمرت، رئيس الوزراء الإسرائيلي [السابق] المنتهية ولايته، كان قد أشار أيضاً، إلى أن الحال قد تكون كذلك؛ ففي مقابلة خلّفت تأثيراً قوياً قد يطول أمده، تحدث أولمرت عن احتمالات القيام بعمل عسكري إسرائيلي ضد إيران، قائلاً: «في الأمور التي قيلت هنا عن إيران يتحسس المرء شعوراً بجنون العظمة، وبفقدان التناسب. نحن بلد فقد القدرة على تقدير أكثر الأمور أهمية في هذا الشأن... نحن بلد فقد الإحساس بقدراته».[40] وفي حال صحت هذه التقويمات، فإن إسرائيل ربما تكون قادرة على بدء حرب ضد إيران، بيد أنها ستكون بحاجة إلى عون من الولايات المتحدة لإنهائها؛ وهو العون الذي ربما لا تفضل واشنطن أن تقدمه، وبأي حال من الأحوال، فإن أحداثاً كهذه، ستخضع العلاقات القائمة بين إسرائيل والولايات المتحدة لاختبار قاسٍ.

خاتمة

لا يكمن السبب الجدير بالتصديق لاندفاع إيران نحو امتلاك أسلحة نووية في رغبتها بتدمير إسرائيل، وإنما في حاجتها إلى ردع الولايات المتحدة الأمريكية عن أي أفكار قد تدفعها إلى تغيير النظام الحاكم في طهران. وفي المقابل، فإن الدافع الأكثر ترجيحاً، وهو الذي يدعو إيران إلى مهاجمة إسرائيل ربما يقع في إطار الرد الإيراني على التهديدات الأمريكية الموجهة ضدها. وفي ظل سيناريو كهذا، فإن الزعامة الإيرانية قد تخلص إلى أنْ ليس هناك ما تخسره مادامت إطاحتها باتت أمراً وشيك الحدوث؛ ووفقاً لأي سيناريو آخر، فإن من المرجح كثيراً أن يلجأ القادة الإيرانيون إلى ممارسة ضبط النفس؛ أملاً في إنقاذ أنفسهم وبلادهم، وهنا لا ينبغي أن يغيب عن الذاكرة أن إسرائيل تعاني هي الأخرى الهشاشةَ أمام أي هجوم تشنه إيران عليها، على الرغم من الميزات التي تتفوق بها إسرائيل من الناحية العسكرية، وليس في وسع المرء، إضافة إلى ذلك، افتراض أن خطر وقوع إصابات في الأرواح بين الفلسطينيين وأبناء دول عربية أخرى – جراء الأضرار المصاحبة للهجوم الإيراني – سيكون كافياً لمنع إيران من مهاجمة إسرائيل. إن احتمال إقدام إيران على هجوم كهذا مايزال في إطار الأفكار النظرية، ولكنه يعد – كما سبقت الإشارة إلى ذلك في هذه الدراسة – تهديداً بعيد الاحتمال إلى أقصى حدٍّ.

لذا، فإن كان الهجوم الإيراني على إسرائيل بعيد الاحتمال، وإن كان وقوعه جائزاً، فإن السؤال الحاسم، إذاً، سيأخذ الصيغة الآتية: أي درجة من انعدام الأمن سيقبل بها الإسرائيليون، مقابل تفادي تحمل التبعات السلبية التي ستترتب على توجيه ضربة عسكرية لإيران؟

إن اللجوء إلى القوة العسكرية؛ تحقيقاً للأمن بمعناه المطلق، غالباً ما يسبب تقويض الهدف ذاته، الذي يسعى المرء لبلوغه. ومتى ما تعلق الأمر بإسرائيل وإيران، فسيبدو واضحاً أن هناك من الخيارات ما هو أفضل من ذلك بكثير؛ فالتكنولوجيا الإسرائيلية التي تزداد تطوراً بفضل الدعم الأمريكي، تتفوق كثيراً على ما في حوزة إيران من قدرات في هذا المجال، بل إن الهوة ما بين البلدين آخذة في الاتساع نتيجة لما تستثمره إسرائيل في التقنيات الحديثة التي بدأت تتبدى للعيان. ولا ريب في أن التحرك وفقاً لهذه الاستراتيجية سيعني أن الجهود الأمريكية الرامية إلى تأخير أي تطور يمكن أن تدخله إيران على منظوماتها الصاروخية وقدراتها النووية، سيتيح لإسرائيل وقتاً أطول لتعزيز تفوقها التكنولوجي. كما أن مثل هذه الاستراتيجية سيتطلب ما هو أكثر من الدخول فقط في مناورات دبلوماسية، إزاء مزودي إيران والمساندين لها في الميدان النووي. وسوف يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية – في حالات معينة – التعاون بشكل وثيق وشركاء إيران التجاريين؛ كسباً لما يمكنهم تقديمه من عون للجهود التي تستهدف تقليل الدعم الذي يُقدم للبرامج النووية والعسكرية الإيرانية.

وعلاوة على ما تقدم، فإن المبادرات الأمريكية – الإيرانية تحمل معها فرص مساعدة كل من الإسرائيليين والإيرانيين، على تفادي خوض صراع ينذر بعواقب كارثية. ومن المرجح أن يسهم دخول واشنطن في حوار دبلوماسي مع طهران في تقليص النفوذ الذي يتمتع به التيار المتشدد في نظام طهران، والذي أفلح حتى الآن في تصوير إدارة بوش وحلفائها؛ بوصفهم مصدر تهديدٍ متأصلٍ لإيران. غير أن هذه الصورة تختلف اختلافاً حاداً وواضحاً عما اشتهرت به إدارة أوباما الجديدة؛ الإدارة ذات السمعة الحسنة في سياق سعيها لإيجاد حلول دبلوماسية للتحديات الاستراتيجية؛ ومن هنا، فإنها – أي إدارة

أوباما – يمكن أن تكون ذات نفع كبير، من حيث هي مصدر مضاف؛ لممارسة الضغوط السياسية، أما إذا أخفقت الجهود الأمريكية في تحقيق تقدم دبلوماسي مع إيران، فإن واشنطن ستصبح في موقع أقوى بكثير، يمكنها فيه المطالبة بفرض عقوبات اقتصادية إضافية على طهران من خلال الأمم المتحدة. وسوف يَسهُل عندئذٍ، على الرئيس أوباما القول: إن إدارته سعت بكل صدق لتحسين العلاقات بطهران، ولكن محاولاتها أحبطت؛ بسبب تصرفات إيران غير العقلانية، إزاء ما يتعلق بالمسألة النووية. ولعل دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لإنزال المزيد من العقوبات بإيران ستحظى بقدر أكبر من المصداقية داخل أوساط الرأي العام الأمريكي، والمجتمع الدولي كله، بل إنها ستضعف شرعية النظام الإيراني ومكانته في أعين مواطنيه ومناصريه.

الهوامش

الأسلحة النووية والثقافة الاستراتيجية الإيرانية

1. انظر:

President George W. Bush, "White House Press Briefing," Washington, DC, 17 October 2007; available from http://www.whitehouse.gov/news/releases/2007/10/2007 1017.html.

2. انظر:

Jahangir Amuzegar, "Nuclear Iran: Perils and Prospects," *Middle East Policy*, vol. 13, no. 2 (Summer 2006): 92.

3. انظر:

Matthew Levitt, "Iranian State Sponsorship of Terror: Threatening U.S. Security, Global Stability, and Regional Peace," Testimony before the Joint Hearing of the Committee on International Relations Subcommittee on the Middle East and Central Asia, and the Subcommittee on International Terrorism and Nonproliferation United States House of Representatives, 16 February 2005; available from http://www.washingtoninstitute.org/templateC05.php?CID=2263.

4. يرى أحمدي نجاد أن الأسلوب الوحيد في التعامل والولايات المتحدة «وله قيمة، هو أسلوب المواجهة القوية... وببساطة فهو غير معني باحتمال تقديم الغرب له أي تنازلات أو لا، بل هو على العكس من ذلك، يرغب في حالة تتميز بالتوتر والمواجهة الدائمين، وينشط في انتقاد الغرب». انظر:

Ali Ansari, *Confronting Iran* (New York: Basic Books, 2006), p. 230.

5. ستنطلق هذه المقالة في مناقشتها من افتراض أن إيران تقوم بتطوير قدرات تسلح نووي؛ نظراً إلى سعيها وراء «امتلاك عناصر دورة تخصيب وقود اليورانيوم، (ومن ذلك القدرة على تعدين اليورانيوم محلياً)، وتسعى أيضاً لامتلاك القدرة على إعادة معالجة اليورانيوم المستهلك؛ للحصول على البلوتونيوم». انظر:

Kenneth Pollack, "The Threat from Iran," Testimony before the House Armed Services Committee, Washington, DC., 29 September 2005.

6. انظر:

Lt. Col Frederick R. Strain, "Discerning Iran's Nuclear Strategy: An Examination of Motivations, Strategic Culture, and Rationality," (a research report submitted to faculty of the U.S. Air War College, Maxwell Air Force Base, AL, 15 April 1996), 18.

7. انظر:

Willis Stanley, "The Strategic Culture of the Islamic Republic of Iran," *SAIC* project prepared for the Defense Threat Reduction Agency, 31 October 2006, p. 3.

8. انظر:

Steve Ward, "The Continuing Evolution of Iran's Military Doctrine," *The Middle East Journal*, vol. 59, no. 4 (Autumn 2005): 566.

9. يقول ويليس ستانلي: «في عام 680 قاد الحسين بن علي، مجموعة صغيرة جداً من أسرته وأتباعه لخوض معركة في كربلاء وقتل. وتعد هذه التضحية في سبيل الخلافة الراشدة حدثاً محورياً في تطور التشيع، من حيث هو مذهب متميز في الإسلام. ومصدر تقديس الشيعة للشهادة تمثل بالإشارة إلى مقتل الحسين، ورغبتهم في التكفير عن إخفاق المؤمنين (الشيعة الذين تخلوا عن المجموعة في كربلاء)، في الوقوف مع الحسين والموت معه». Stanley, 8.

10. Stanley, 20–21.

11. Ibid., 23.

12. انظر:

Anthony Cain, "Iran's Strategic Culture and Weapons of Mass Destruction," Air War College, Maxwell Paper no. 26, August 2002, pp. 2–3.

13. Ibid., 5.

14. انظر:

Farid Mirbaghari, "Shi'ism and Iran's Foreign Policy," *The Muslim World*, vol. 94, no. 4, (October 2004): 588 – 560.

15. Stanley, 19.

16. انظر:

Ray Takeyh, *The Hidden Iran* (New York: Holt Paperbacks, 2006), p. 171.

«أسَرَّ آية الله الخميني هذه المشاعر حقاً بقوله: إن النصر لا يُحقَّق بالسيوف فحسب، بل بالدم أيضاً».

17. Ibid.

18. انظر:

Gary Sick, "Trial By Error: Reflection on the Iran-IraqWar," *The Middle East Journal*, vol. 43, no. 2 (Spring 1989): 237.

19. Strain, 22.

20. Takeyh, 170. كان الخميني يعتقد بأن «هذه كانت حرباً كافرة ضد الثورة الإسلامية "حكومة الله" وعقيدة الشيعة السامية».

21. Takeyh, 172–173.

22. «لقد تبين أن الضغط الذي مارسته الجماهير بصورة متزايدة؛ قد سبب إخافتهم، كما ثبت أن القوات المسلحة المحاصرة، شكلت عبئاً على رجال الدين المتشددين الساعين لمواصلة الحرب حتى النصر». Takeyh, 173

.Sick, "Trial By Error: Reflection on the Iran-Iraq War," p. 242 .23

.Takeyh, 173 .24

.25 انظر:

Richard Perry, "Rogue or Rational State? A Nuclear Armed Iran and U.S. Counterproliferation Strategy," Air Command and Staff College, March 1997, p. 11.

.Takeyh, 174 .26

.27 انظر:

David Menashri, "Iran's Regional Policy: Between Radicalism and Pragmaticism," *Journal of International Affairs*, vol. 60, no. 2 (Spring 2007): p. 155.

.Perry, 11 .28

29. بعد أن تحققت إيران في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1984، من أنها غير قادرة على اختراق الدفاعات العراقية ومواجهة الضربات الجوية، قام آية الله الخميني «بدعوة جميع الممثلين الدبلوماسيين الإيرانيين من الخارج، ووجههم لاتباع أسلوب جديد: علينا أن نعمل كما كانت الحال عليه في العصر الإسلامي الأول، عندما أرسل النبي... رسلاً إلى جميع أنحاء العالم لإقامة علاقات مناسبة. إنه لا يمكننا الجلوس بكسل والقول: ليس لدينا ما نفعله مع الحكومات. هذا يناقض العقل والشرع. علينا أن نقيم علاقات بجميع الحكومات، باستثناء بعض الحكومات التي ليس لنا علاقات بها في الوقت الحاضر». انظر: .Sick, "Trial By Error: Reflection on the Iran-Iraq War," p. 237

.Menashri, 155 .30

31. شمل ذلك أبحاث الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية.

32. يتفق معظم المراقبين على أن الحرب الإيرانية - العراقية كانت حافزاً لطموحات إيران لامتلاك أسلحة كيماوية وبيولوجية، يقول أحد المحللين: «لم يحدث أن احتلت إيران مركز الريادة الإقليمية في السعي لحيازة أسلحة بيولوجية وكيماوية حتى الحرب الإيرانية - العراقية... فقد قامت إيران فقط بإحياء برنامجها النووي، وأعطت البرنامجين الكيماوي والبيولوجي أولوية قصوى، بعد استخدام العراق الحرب الكيماوية على نطاق واسع ضد القوات الإيرانية». .Cain, p. 9

33. شملت هذه النشاطات: اغتيالات للمنشقين الإيرانيين في أوربا، وجهوداً لتقويض حكومات الدول العربية الحليفة للولايات المتحدة في المنطقة، والمراقبة العدوانية للأمريكيين في المنطقة بنيات مقصودة تماماً؛ للقيام بهجمات بهدف الاغتيال، وبهجمات انتحارية، وبتفجيرات، وبأشكال أخرى للإرهاب. انظر:

Kenneth Pollack, *The Persian Puzzle* (New York: Random House, 2004), pp. 255–257.

Pollack, "The Threat from Iran." .34

35. انظر:

Jason Steorts, "Can Iran Be Deterred?" *National Review*, vol., 58, no. 19 (October 2006): 34.

36. Takeyh, 112.

37. Mirbaghari, 561–562.

38. Cain, 13.

39. As quoted in Strain, 22.

40. انظر:

Amir Taheri, "TheWorld and Iran's Second Revolution," *American Foreign Policy Interests*, vol. 28, (2006): 103.

41. Takeyh, 61.

42. As quoted in Taheri, 102.

43. Ibid.

44. Strain, 22.

45. Ibid.

46. إن الدول السنية المجاورة لإيران «تخشى هيمنة الشيعة... وقد حذر مسؤولون في الأردن والمملكة العربية السعودية وغيرهما من الدول العربية من ظهور "هلال شيعي"، يمتد من إيران إلى لبنان، وصدرت عنهم تهديدات مبطنة، بأنهم قد يساعدون السنة ضد الشيعة في العراق، إن لم تتنحَّ إيران جانباً».

Mark Gasiorowski "The New Aggressiveness in Iran's Foreign Policy," *Middle East Policy*, vol. 14, no. 2 (Summer 2007), 125.

47. انظر:

Lionel Beehner, "Iran's Multifaceted Foreign Policy," Council on Foreign Relations, 7 April 2006.

48. انظر:

Jahangir Amuzegar, "Nuclear Iran: Perils and Prospects," *Middle East Policy*, vol. 13, no. 2 (Summer 2006): 90.

49. في أواسط الحرب قدم رئيس الوزراء الإيراني مير حسين موسوي تطمينات لدول المنطقة التي كانت تخشى الثورة الشيعية؛ حيث قال: «إننا لا نريد أن نصدر الثورة المسلحة إلى أي دولة، تلك كذبة كبرى، إن هدفنا هو الترويج للثورة الإسلامية عن طريق الإقناع، ومن خلال الصدق والشجاعة، تلك هي القيم الإسلامية». انظر:

Sick, "Trial By Error: Reflections on the Iran-Iraq War," p. 237.

.50 .Amuzegar, 97

.51 في كانون الأول/ ديسمبر عام 2006، أعلنت السعودية ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، عن مشروع مشترك للطاقة النووية السلمية، وأعلن الأردن ومصر عن رغبتهما في استخدام الطاقة النووية، ومؤخراً «التحق اليمن بركب الدول المستخدمة للطاقة النووية»، عندما أعلن وزير الطاقة أن "شركات دولية متخصصة"، ستبني مفاعلاً نووياً لتوليد الكهرباء. انظر:

Yaniv Salama-Scheer, "France Helping Arab States with Nuke Programs," *The Jerusalem Post*, 24 August 2007; available from http://www.jpost.com/servlet/Satellite?cid=1187779149131&pagename=JPost%2FJPArticle %2FShowFull.

.52 انظر:

S. Enders Wimbush, "Understanding the Iran Crisis, Testimony before the House Committee on Foreign Affairs," Washington, DC, 31 January 2007; available from http://www.hudson.org/files/pdfupload/Enders%20TestimonyHouse%20Committee%20On%20Foreign%20Affairs.doc.

.53 انظر:

"Iran Offers to Help Gulf States With Atom Technology," *Reuters*, 28 May 2007; available from http://www.reuters.com/article/newsOne/idUSL2827620320070528.

.54 انظر:

"Gulf States Suggest Iran Nuclear Compromise: Report," *Agence France Presse*, 1 November 2007; available from http://afp.google.com/article/ALeqM5hNjJe9jmZ6b8BOsVSTxnbtWVwlbA.

.55 انظر:

Dr. Robert Joseph, "Iran's Nuclear Program," Statement Before the House International Relations Committee, Washington, DC, 8 March 2006; available from http://www.state.gov/t/us/rm/63121.htm.

.56 .Takeyh, 199

.57 .Ibid

.58 .Ibid., 200

.59 .Ibid., 213

.60 للاطلاع على تسلسل للتاريخ الفارسي، انظر: http://www.scaruffi.com/politics/persians.html.

.61 .Takeyh, 61

.62 .Ibid

.63 انظر:

Manochehr Dorrai, "Behind Iran's Nuclear Pursuit?" *Peace Review: A Journal of Social Justice*, vol. 18 (May 2007): 326.

64. Perry, 10.

65. Strain, 20.

66. Takeyh, 62.

67. Steorts, 34:

68. انظر:

Nader Entessar, "Iran's Security Challenges," *The Muslim World*, vol. 94, no. 4 (October 2004): 538.

69. Ibid., 539.

70. Ward, 566.

71. Perry, 13.

72. Cain, 14.

73. Ward, 560.

74. Ibid., 575 and 567. «ينبغي أن تعتمد جهود إيران لردع الأعداء - كما هي الحال بالنسبة إلى أي دولة أخرى - على القدرة على إظهار تصميمها على العمل؛ فلقد ظهر هذا التصميم بالنسبة إلى إيران في الماضي بالخطاب القاسي وإثارة الجلبة من حين إلى آخر، ولعل الزعماء الإيرانيين يبحثون فقط عن مزيد من حرية التصرف، وهم يحاولون تأكيد ما يرون فيه دورهم المناسب في المنطقة، غير أن لغتهم استفزازية، وتتصف بالتهديد».

75. Ibid., 567.

76. Takeyh, 62.

77. انظر:

Mark Roberts, "Iran and the Great Satan," *Joint Forces Quarterly* (Autumn 1995): 55.

78. Steorts, 31.

79. Pollack, *The Persian Puzzle*, xxv.

80. Ibid., 68.

81. «كان تعبير "الشيطان الأكبر"، أداة دلالية فعالة أضفى بها الخميني الطابع الإسلامي على الخطاب الماركسي ضد الرأسمالية والمادية العالميتين. وفي الفكر الإسلامي، يعد الشيطان تجسيداً للغواية؛ ومن ثم فإن الولايات المتحدة جسدت إغراءات الثقافة المادية التي كان الانغماس فيها من بين الأخطاء الكبرى لإيران البهلوية».

Ali Ansari, *Confronting Iran* (New York: Basic Books, 2006), p. 87.

82. Pollack, *The Persian Puzzle*, 128.

83. Stanley, 22.

84. Cain, 4.

85. Pollack, *The Persian Puzzle*, p. 399.

86. Ward, 564.

87. Ibid.

88. Ibid.

89. Takeyh, 63.

90. لا تختلف دوافع إيران إلى امتلاك القدرات النووية بصورة عامة، كثيراً عن الدول الأخرى التي سعت لامتلاك هذه القدرة في الماضي، وهي تشمل عوامل؛ مثل: كون الدول "أسيرة لعدم الأمن"، والطموح لبناء الهيبة والنفوذ، واستخدام الترسانة النووية للتفاوض من موقع قوة في الحلبة الدولية. ولعل هذه العوامل تلوح بشكل أكبر لدى الدول النامية التي كان لها ماضٍ من الخضوع، والهيمنة الاستعمارية أو شبه الاستعمارية. ويتطلب امتلاك الطاقة النووية مستويات معينة من التقدم التقني؛ فيمنح العضوية في النادي النووي المحدود العضوية، ويضفي على الدول شعوراً بالإنجاز والاعتزاز القومي. انظر: Dorrai, pp. 325-326.

91. Perry, 12.

92. Amuzegar, 97.

93. انظر:

John Swails, "Ahmadinejad Awaits the Hidden Imam," *The American Thinker*, 25 January 2006; available from http://www.americanthinker.com/2006/01/ahmadinejad awaits the hidden.html.

94. Perry, 12.

95. Michael Eisenstadt, as quoted in Cain, 13.

96. Perry, 12.

97. Ibid.

98. Taheri, 101.

99. Amuzegar, 97.

100. «ترى إيران (ودول أخرى في المنطقة)، أن السلاح النووي يضع الدولة في ذروة القدرات العسكرية؛ ومن ثم في ذروة الهيبة العسكرية. وتُلخّص رؤية الدول الصغرى؛ كإيران مثلاً، في أن السلاح النووي يبدو أنه يضفي على الدولة مستوى من الهيبة، أكبر من مركزها العسكري الحقيقي... وجعل مستوى الدولة مكافئاً لمستوى الدول الأخرى، يعد عنصراً رئيسياً آخر من عناصر الهيبة». Strain, 13.

.Amuzegar, 97 .101

.Stanley, 24 .102

.Ibid .103

.Takyeh, 154 .104

105. من بين المؤشرات الرئيسية التي تدل على الرغبة في الهيبة والقدرات النووية بغرض الهيمنة: «الاعتراف المكشوف بوجود برامج يتم تمويلها لأجل الهيبة القومية، والاستياء المعلن من ازدواجية المعايير في المجال النووي، والبرامج النووية المتزايدة التي يصاحبها استثمار كبير في التدريب والتعليم، وحكومة يسيطر عليها دكتاتور أو ملك أو نظام عسكري، وتضخيم تاريخي للأهمية الإقليمية للدولة، والميل إلى إعطاء الدولة نفوذاً أكثر مما تملكه واقعياً من وسائل قوة قومية». Strain, 12.

.Strain, 8 .106

.As quoted in Perry, 13 .107

.Takeyh, 140 .108

.Amuzegar, 97 .109

.Dorrai, 328 .110

111. لقد أسهم استعراض باكستان قوتها النووية مؤخراً أيضاً، في إقناع إيران بضعفها النسبي، إزاء ما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل. ويعبر عناصر داخل الحرس الثوري الإيراني علناً عن قلقهم من دعم باكستان لطالبان، كما أن إيران ألقت اللوم على باكستان لموت دبلوماسيين إيرانيين في أفغانستان في آب/ أغسطس عام 1998، أضف إلى ذلك أن العنف ضد الشيعة في باكستان قد تصاعد في السنوات الأخيرة، وتزداد المخاوف من أن يسود في باكستان العداء للشيعة، وقد أقامت قوى كثيرة في إسلام أباد – ولاسيما في المؤسسة الأمنية – علاقات وثيقة بالقوى المعادية للشيعة في المملكة العربية السعودية، وتشعر الأوساط الشيعية في باكستان بأنها مهددة؛ بسبب احتمالات إقرار قوانين الشريعة هناك.

David Byman, Shahram Chubin, Anoushiravan Ehteshami, and Jerrold Green, "Iran's Security Policy in the Post-Revolutionary Era," The Rand Corporation, 2001, p. 72; available from http://www.rand.org/pubs/monograph reports/MR1320.

112. انظر:

"The United States, in their view, would be unwilling to confront a nuclear-armed Iran much as America appears unwilling to confront a nuclear armed North Korea." Stanley, 24.

.As quoted in Takeyh, 155 .113

114. انظر:

John Rood, Assistant Secretary of State for International Security and Non-Proliferation, "Remarks to the 8th Royal United Services Institute (RUSI) Missile Defense Conference" London, England, 27 February 2007; available from http://www.state.gov/t/isn/rls/rm/81242.htm.

115. Strain, 8. كما يقول ستانلي أيضاً: «وإجمالاً فإن اهتمام النظام بالمحافظة على بقائه الذي أسهمت في تكوينه قرون من العيش تحت هيمنة العرب السنة، يجد انعكاساً له في "الخطوط الحمر" الواضحة لدى الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ وهو الغزو الأجنبي، والثورة المدعومة خارجياً، والسيطرة الخارجية على صادرات إيران النفطية... وتعكس زعامة الجمهورية الإسلامية الإيرانية عناصر مرنة ومتكيفة في الثقافة الإيرانية والإسلام الشيعي. وتشمل هذه العناصر إباحة الخداع والتظاهر ثقافياً ودينياً عند الضرورة؛ للمحافظة على الدين أو الحياة أو النظام الحاكم، وهذا الأخير هو الأهم. وليس من الصعب معرفة جذور هذه المرونة بالبديهة؛ ذلك أن عيش الشيعة في بحر من السنة، وعيش الإيرانيين في بحر من العرب استدعيا تطوير مهارات البقاء لدى الضعفاء والعاجزين. والواقع أن مدى قدرة النخب الإيرانية على مصادقة الفاتحين، من خلال تطبيق المهارات الإدارية التي طورت [illegible] تشهد للمرونة التي أبقت الهوية الثقافة المتميزة لإيران حية حتى يومنا الحاضر».

116. Stanley, 19.

117. «على الرغم من البيانات الثورية المستمرة، فقد تطورت إيران من دولة ثورية تصحيحية تسعى لتصدير نموذجها في الحكم إلى دولة عقلانية، تبني سياستها الخارجية على حسابات براجماتية». Takeyh, 219.

118. Amuzegar, 99.

119. Stanley, 24.

120. Ibid.

121. Amuzegar, 99.

122. Menashri, 156.

123. منذ تسعينيات القرن الماضي برزت إيران؛ بوصفها المصدر الأساسي لتمويل الجماعات الفلسطينية الراديكالية، ولاسيما حماس والجهاد الإسلامي، كما ضاعفت أيضاً شحناتها من الأسلحة إلى الراديكاليين الفلسطينيين، وقامت أيضاً بتسليح الفرع اللبناني من حزب الله بجيل جديد كامل من الصواريخ المتحركة القادرة على ضرب أي هدف في إسرائيل. Taheri, 100.

124. Takeyh, 200.

125. على الرغم من «امتلاك إيران أسلحة كيماوية فترة طويلة، فإنها لم تعطها لحلفائها من الإرهابيين». Takeyh, 147.

126. «على الرغم من أن إيران كانت عدوانية ومناوئة للأمريكيين وخطيرة، فإن سلوكها لم يكن لا عقلانياً ولا طائشاً، فقد ضبطت تصرفاتها بعناية، وأبدت ضبط النفس عندما كانت المخاطر شديدة،

وانسحبت عندما عُرِّضت للتهديد بعواقب أليمة. ويدل مثل هذه الحسابات على أن الولايات المتحدة قد يمكنها ردع إيران ولو امتلكت أسلحة نووية». Pollack and Takeyh, 1–2.

127. «بدأ ذلك منذ ثماني سنوات، عندما ظهرت في طهران ترجمة مقرصنة غير رسمية من كتاب صموئيل هنتنجتون صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي. وقد تلقى الناشر طلباً بألف نسخة... [وكانت الشاحنة التي جاءت لتحمل النسخ]، تابعة للحرس الثوري الإسلامي، وكان شراء النسخ لأجل الضباط العاملين والاحتياط في الحرس الثوري. ومن بين الذين تلقوا نسخة منه يحيى صفوي، وهو جنرال وقائد عام للحرس الثوري، وقد تبنت النخبة الحاكمة الجديدة المتمركزة في الحرس الثوري تحليل هنتنجتون، وهي تؤمن أن "صدام الحضارات" الرئيسي اليوم هو بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والولايات المتحدة الأمريكية. وثمة اعتقاد أيضاً بأن إيران ستكسب المعركة ضد أمريكا "الشيطان الأكبر". وتتعلق الجولة الأخيرة في المعركة بتصميم إيران على متابعة مشروعها النووي كما تراه مناسباً، وهي بذلك تجازف بالمواجهة لا ضد الاتحاد الأوربي فحسب، بل ضد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة». Taheri, 101.

128. انظر:

"Waiting for the Mahdi: Official Iranian Eschatology Outlined in Public Broadcasting Program in Iran," *MEMRI*, 25 January 2007; available from http://sweetness-light.com/archive/iransays-the-hidden-imam-is-coming-very-soon.

129. Cain, 2–3.

130. انظر:

Gary Sick, "Iran's Quest for Superpower Status," *Foreign Affairs*, vol. 65, no. 4 (Spring 1987) 697, 708.

131. Strain, 25.

132. Pollack and Takeyh, "Taking on Tehran," 4.

133. Cain, 9.

134. على الرغم من أن أحمدي نجاد يتمتع ببعض النفوذ في السياسة الخارجية – حيث يقوم بتعيين الوزراء ورئيس مجلس الأمن القومي الأعلى – فإن السلطة تبقى في معظمها في أيدي هذا المجلس والقائد الأعلى للثورة. «ويعد [أحمدي نجاد] جزءاً صغيراً من هذه اللعبة المعقدة، ويمكن أن يكون له تأثير في الأمور الثانوية، ولكن ليس بالتأكيد، في توجيه السياسة الخارجية أو السياسة النووية الإيرانية»، بحسب تعبير كريم صادق بور، وهو محلل إيراني لدى مجموعة الأزمات الدولية. ويقول الخبراء: لا ينبغي أن تفسر تصريحات أحمدي نجاد المثيرة للجدل، والداعية إلى إزالة إسرائيل من الوجود، على أنها سياسة خارجية رسمية. ويقول وليم سامي، وهو خبير إيراني يعمل لدى إذاعة أوربا الحرة/ إذاعة الحرية. «وهو لا يملك معلومات كثيرة عن السياسة الخارجية [الإيرانية]».
Beehner, available from http://www.cfr.org/publication/10396#2

135. «ابتداء من عام 1997؛ أي عندما تم انتخاب خاتمي، أدركت النخبة الدينية أنها تواجه تحدياً بالغاً لسيطرتها المستمرة على البلاد؛ فالزيادة الهائلة في أعداد الشبان في إيران تشكل ضغطاً على الاقتصاد الإيراني، ومطالب جيل الشباب الإيراني بالحريات الاجتماعية تمثل تحدياً للأهداف الأساسية للثورة نفسها، وحالياً ينتج الاقتصاد الإيراني نحو 400 ألف فرصة عمل جديدة، غير أن أكثر من مليون عامل جديد يدخل في القوة العاملة كل عام. وقد أسهم الارتفاع السريع الناجم في معدل البطالة في زيادة التململ من النظام، ونبه التكنوقراطيون الذين يديرون اقتصاد إيران، أن الحاجة تدعو إلى استثمارات أجنبية هائلة؛ (أي نحو 20 مليار دولار سنوياً، خلال الخطة الخمسية المقبلة)؛ للمحافظة على الوضع القائم من مزيد من التدهور». Pollack, "The Threat from Iran," p. 9.

136. Pollack and Takeyh, "Taking on Tehran," 4–5. انظر أيضاً، ما يذكره تقيه من أنه قد حدثت ردة فعل معقدة داخل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعد خطاب أحمدي نجاد عن "محو إسرائيل من الخريطة"، وهو يفصل ذلك بقوله: «إن وزارة الخارجية كانت أول من أصدر لومها لأحمدي نجاد بأن "الجمهورية الإسلامية الإيرانية تلتزم ميثاقَ الأمم المتحدة، ولم تهدد باستخدام القوة أو تستخدمها ضد أي دولة". وعقّب الرئيس القوي للمجلس الأعلى للأمن القومي، علي لاريجاني بقوله: "الوضع في إيران تجاه فلسطين هو نفسه كما كان في الماضي، هذا قرار يعود إلى الفلسطينيين بشأن كيفية استعادتهم حقوقهم". وبالنظر إلى بنية السلطة في إيران فإن مثل هذه التصريحات لم يكن ليثار لولا موافقة خامنئي وقادة السلطة الأساسيين في النظام». Takeyh, 213.

137. Pollack, "The Threat from Iran."

138. أصيب الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بصدمة مربكة لهيبته عندما هاجمه حزبه؛ بسبب استخدامه لهجة هزلية تجاه التضخم في فترة تفشي ارتفاع الأسعار... وقد صرح نجاد – وهو مهندس يحمل درجة الدكتوراه في إدارة حركة المرور – علناً بقوله: «أدعو الله ألا أعرف شيئاً عن الاقتصاد». والآن قامت جمعية أنصار الثورة الإسلامية – وهي جمعية أصولية لقدماء المحاربين الثوريين شارك في تأسيسها أحمدي نجاد نفسه – بضم صوتها إلى الأصوات المتصاعدة المعبرة عن الاستياء من الاقتصاد، بتحذير الرئيس من أن تكاليف المعيشة المتصاعدة تؤذي الفقراء وتنسف هدفه المعلن المُمثَّل بتحقيق العدالة الاجتماعية... وأجاب نجاد أيضاً على الانتقاد الأخير لسياساته بالقول: إنه أخذ النصح من القصاب المحلي في منطقته «هناك جزار محترم في حينا، يعرف كل المشكلات الاقتصادية للناس. وأنا أحصل منه على معلوماتي الاقتصادية». انظر:

Robert Tait, "It's the Economy, Mr. Ahmadinejad," Guardian Unlimited, 19 September 2007; available from: http://www.guardian.co.uk/iran/story/0,,2172550,00.html.

139. Pollack, "The Threat from Iran."

140. إن برنامج إيران النووي الحالي، «ظهر منذ خمسين عاماً تقريباً بموافقة الولايات المتحدة الأمريكية ودعمها، ولم يُقصَر الأمر على الموافقة، بل تجاوز ذلك إلى التشجيع من واشنطن. وقد عرض الرئيس

جيرالد فورد على الشاه دورة وقـود نووي كاملة عام 1976. وقد دلـت التقارير عـلى أن فريـق فـورد – بمن فيهم الكثير من كبار المسؤولين في إدارة جورج بـوش الابـن الـذين يعارضـون الآن امـتلاك إيران ولو قدرة محدودة على تخصيب اليورانيوم – وافق على صفقة دورة الوقود النووي الكاملة. وقد عرضت شركات أمريكية على حكومة الشاه أن تبيعها مفاعلات ذرية قادرة على إنتاج مواد انشطارية على أساس اكتفاء ذاتي، علماً أنها كانت من دون قدرات تخصيب اليورانيوم التي تـسعى إيـران لهـا في الوقت الحاضر». Amuzegar, 91–92.

141. Ward, 574.

142. Ibid.

143. قال بعض الكتاب: إن أخطر التهديدات المباشرة الممثلة بالقدرات النووية الإيرانية «لا تُمثِّـل بـاحتمال استخدام طهران المفاجئ للأسلحة ضد المملكة العربية السعودية أو إسرائيل أو دولة أخرى، أو حتى إمكانية إعطائها مثل هذه الأسلحة لإرهـابيين، بـل تُمثِّـل ببـساطة في أن أشـد زعـماء إيـران عدوانيـه سيرون أنهم لم يعودوا مقيدين بالخوف من الانتقام العسكري؛ بـسبب أعـمال الإرهـاب والتخريـب وأشكال الحرب السرية الأخرى. وقد يتم إيراد حجة قوية، مفادها: أن هذه الاستراتيجية هي الأشد اتفاقاً وخط الخميني، والأكثر ملاءمة لورثته المتـشددين الـذين اسـتعادوا الـسيطرة عـلى الـسلطة في طهران، مع انحسار الحركة الإصـلاحية وفـوز المتـشدد الراديكـالي أحمـدي نجـاد في الانتخابـات». Pollack, "The Threat from Iran," p. 3.

144. «إن الردع... مايزال الاستراتيجية الأمنية الأساسية المعلنة لإيران، وقد هيمنت التحذيرات من الخطوط الحمر الإيرانية، والقدرات الانتقامية، والحزم على البيانات الرسـمية مـع تزايـد القلـق مـن التهديـدات الأمريكية والإسرائيلية المحتملة لمنشآت إيران النووية، في النصف الثاني من عام 2004 حتى بدايات عام 2005. وقد أعطى الأميرال شـمخاني أوضـح إشـارة إلى خطـوط إيـران الحمـر، بقولـه: إن "أي عمـل عسكري ضد بلدنا – ومن ذلك العمليات العسكرية الجراحية المحدودة – سـيعد هجومـاً عـلى وجـود الدولة الإسلامية الإيرانية"؛ وسيتم من ثم الرد عليها بكل قوتنا». Ward, 564-565.

145. As quoted in Strain, 13.

146. Pollack and Takeyh, "Taking on Tehran," 1–2.

147. Ibid.

1. انظر:

National Intelligence Council, *Iran: Nuclear Intentions and Capabilities* (Washington: Office of the Director of National Intelligence, November 2007), 6.

2. انظر:

"Annual Worldwide Threat Assessment," transcript, hearing of the Senate Select Committee on Intelligence (Washington: 5 February 2008), 32.

3. انظر:

David E. Sanger and William J. Broad, "Iran Is Reported to Test New Centrifuges to Make Atomic Fuel," *The New York Times*, 8 February 2008, A10.

4. انظر:

Carolynne Wheeler, "Israel Warns of Iranian Missile Peril for Europe," *London Sunday Telegraph*, 6 January 2008, 37.

5. انظر:

"Gordon Brown in Israel: A Revealing Visit," *The Economist*, 28 July 2008, 67; Adar Primor, "French, Israeli Presidents See Eye to Eye on Iran," *Ha'aretz*, 12 March 2008.

6. انظر:

Josh Mitnick, "Israel Warms to Obama's Pledge of Talks with Iran," *The Washington Times*, 26 November 2008, A1.

7. Jeffrey Goldberg, "Unforgiven," *Atlantic Monthly*, May 2008, 33-51.

8. انظر:

Abraham Rabinovich, *The Yom Kippur War: The Epic Encounter that Transformed the Middle East* (New York: Schocken Books, 2004), especially chapters 7 and 8.

9. انظر:

See Kevin Peraino, Babak Dehghanpisheh, and Christopher Dickey, "Eye for an Eye: Israel Shadow-Boxes with a Surprisingly High-Tech Foe," *Newsweek*, 14 August 2006, 22-26; "Leaders: Stuck in Lebanon," *The Economist*, 29 July 2006, 12.

10. انظر:

Anthony Cordesman, *Lessons of the 2006 Israeli-Hezbollah War* (Washington: CSIS Press, 2007), 99-105.

11. "Iranian Leader Denies Holocaust," *BBC News*, 14 December 2005.

12. انظر:

See Barbara Slavin, *Bitter Friends, Bosom Enemies: Iran, the U.S., and the Twisted Path to Confrontation* (New York: St. Martin's Press, 2007), 8; "Iran Paper's Holocaust Cartoons," *BBC News*, 13 February 2006.

13. انظر:

Roger Howard, *Iran Oil: The New Middle East Challenge to America* (New York: I. B. Tauris, 2007), 37; Jon Leyne, "The Rise of Ali Larijani," *BBC News*, 28 May 2008.

14. انظر:

Nasser Karimi, "Iran to Give Palestinians $50 Million Aid," *Associated Press*, 17 April 2006.

15. انظر:

Anoushiravan Ehteshami and Mahjoob Zweiri, *Iran and the Rise of Its Neoconservatives* (New York: I. B. Tauris, 2007), 109.

16. انظر:

Anthony H. Cordesman, "Iran, Israel, and Nuclear War" (Washington: Center for Strategic and International Studies, 19 November 2007), 39.

17. انظر:

Randall Mikkelsen, "Iran Satellite Launch a Failure, U.S. Officials Say," *Reuters*, 19 August 2008; Bill Gertz, "Pentagon Calls Iran Missile Claim an Exaggeration," *The Washington Times*, 4 April 2006, A3.

18. انظر:

Khomeini may have actually believed that the Israelis had attempted to burn down the mosque, although this is not the case. See Hamid Algar, trans., *Islam and Revolution: Writings and Declarations of Imam Khomeini* (Berkeley, Calif.: Mizan Press, 1981), 153.

19. "Israel Has '150 or More' Nuclear Weapons, Carter Says," *Reuters*, 27 May 2008.

20. Cordesman, "Iran, Israel, and Nuclear War," 41-47.

21. انظر:

Michael R. Gordon and Eric Schmitt, "U.S. Says Exercise by Israel Seemed Directed at Iran," *The New York Times*, 20 June 2008, A1.

22. "Report: Tehran Protests Clinton's Iran Talk," *CNN.com*, 1 May 2008.

23. انظر:

David Morgan, "Clinton Says U.S. Could 'Totally Obliterate' Iran," *Reuters*, 22 April 2008.

24. انظر:

Ze'ev Maghen, "Occultation *in Perpetuum*: Shi'ite Messianism and the Policies of the Islamic Republic," *Middle East Journal*, 62 (Spring 2008), 242.

25. Ibid., 255.

26. Ehteshami and Zweiri, 60.

27. الصواريخ الجوالة التي تطلق من على زوارق بحرية، قد تتحول إلى مشكلة في المستقبل البعيد، على الرغم من أن صعوبة تصغير حجم الرؤوس النووية كي تتناسب ومنظومات كهذه، سيجب إدراجها على قائمة التحديات الإيرانية. أضف إلى ذلك، أن نظام "القبة الحديدية" - وهو المخصص لاعتراض الصواريخ التي يطلقها حزب الله - يبدو صالحاً، من حيث هو نظام دفاعي جيد ضد الصواريخ الجوالة.

28. انظر:

Agence France-Presse, "Report: Israel to Buy Advanced Patriot Missiles," *Defense News.com*, 23 August 2007.

29. انظر:

On the missile strikes against Israel see W. Andrew Terrill, "The Gulf War and Ballistic Missile Proliferation," *Comparative Strategy*, 11 (April-June 1992), 168-7.

30. انظر:

Barbara Opall-Rome, "Israel's Largest Drill Prompts Regional Jitters," *Defense News*, 14 April 2008, 1.

31. انظر:

Agence France-Presse, "Israel Defense Drill Tests Ministers' Response," *Defense News.com*, 7 April 2008.

32. انظر:

Gilles Kepel, *Beyond Terror and Martyrdom: The Future of the Middle East* (Cambridge, Mass.: The Belknap Press of Harvard Univ. Press, 2008), 65.

33. انظر:

Gordon Corera, *Shopping for Bombs: Nuclear Proliferation, Global Insecurity, and the Rise and Fall of the A. Q. Khan Network* (New York: Oxford Univ. Press, 2006), Chapter 36.

34. .Slavin, 195-86

35. انظر:

"Tehran Could Choke the Flow of Oil to World in Case of War," *Kuwait Times*, 1 December 2007.

36. انظر:

Joel Greenberg, "Experts: Strike Against Iran a Last Resort for Israel," *The Chicago Tribune*, 26 December 2007.

37. في إطار المواكب التي تُقام بمناسبة عاشوراء، مايزال الإيرانيون يتهكمون على شخصية يفترض أنها تمثل الإسكندر الكبير، ويتم وضعها على عربة مكشوفة؛ بوصفه أحد أكبر الأشرار في التاريخ. ومن الواضح أن الإسكندر لما يُمنح العفو بعد، عن غزوه الإمبراطورية الفارسية. انظر:

Michael Wood's PBS documentary, *In the Footsteps of Alexander the Great* (1998).

38. انظر:

National Intelligence Council, *Iran: Nuclear Intentions and Capabilities* (Washington: Office of the Director of National Intelligence, November 2007), 6.

39. انظر:

Trita Parsi, "Iran and Israel: The Avoidable War," *Middle East Policy*, 14 (Fall 2007), 83-84; also see Dan Williams, "Israel's Jets Not Enough," *Reuters*, 22 June 2008.

40. انظر:

"The Time Has Come to Say These Things—Ehud Olmert," *The New York Review of Books*, 4 December 2008.

قواعد النشر

أولاً: القواعد العامة

1. تقبل للنشر في هذه السلسلة البحوث المترجمة من اللغات الأجنبية المختلفة، وكذلك الدراسات التي يكتبها سياسيون وكتاب عالميون.
2. يُشترط أن يكون البحث المترجم أو الدراسة في موضوع يدخل ضمن اهتمامات المركز.
3. يشترط ألا يكون قد سبق نشر الدراسة أو نشر ترجمتها في جهات أخرى.
4. تصبح الدراسات والبحوث المنشورة في هذه السلسلة ملكاً لمركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ولا يحق للمترجم أو المؤلف إعادة نشرها في مكان آخر.
5. يتولى المركز إجراءات الحصول على موافقة الناشرين الأصليين للبحوث المترجمة.

ثانياً: إجراءات النشر

1. تقدم الدراسة أو الترجمة مطبوعة من نسخة واحدة.
2. ترفق مع الترجمة صورة من المقالة باللغة المترجم عنها، وبيانات عن المصدر الذي أخذت منه.
3. يرسل مع البحث أو الترجمة بيان موجز بالسيرة العلمية للمترجم أو للباحث.
4. تقوم هيئة التحرير بمراجعة البحث أو الترجمة للتأكد من مستواهما، من خلال مراجعين من ذوي الاختصاص.
5. يخطر الباحث أو المترجم بنتيجة المراجعة خلال ثلاثة أشهر من تاريخ تسلم البحث.
6. تتولى هيئة التحرير المراجعة اللغوية وتعديل المصطلحات بما لا يخل بمضمون البحث أو الترجمة.

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

الرقم	العنوان	المؤلف
1.	نحو شرق أوسط جديد، إعادة النظر في المسألة النووية	أفنر كوهين
2.	السيطرة على الفضاء في حرب الخليج الثانية وما بعدها	ستيفن لمباكيس
3.	النزاع في طاجكستان، التفاعل بين التمزق الداخلي والمؤثرات الخارجية (1991- 1994)	جوليان ثوني
4.	حرب الخليج الثانية، التكاليف والمساهمات المالية للحلفاء	ستيفن داجت جاري جي. باجليانو
5.	رأس المال الاجتماعي والاقتصاد العالمي	فرانسيس فوكوياما
6.	القدرات العسكرية الإيرانية	أنتوني كوردزمان
7.	برامج الخصخصة في العالم العربي	هارفي فيجنباوم وجفري هينج وبول ستيفنز
8.	الجزائر بين الطريق المسدود والحل الأمثل	هيو روبرتس
9.	المشكلات القومية والعرقية في باكستان	أبها دكسيت
10.	المناخ الأمني في شرق آسيا	سنجانا جوشي
11.	الإصلاح الاقتصادي في الصين ودلالاته السياسية	وي وي زانج
12.	السياسة الدولية في شمال شرق آسيا... المثلث الاستراتيجي: الصين - اليابان - الولايات المتحدة الأمريكية	توماس ويلبورن
13.	رؤية استراتيجية عامة للأوضاع العالمية	إعداد: إيرل تيلفورد
14.	العراق في العقد المقبل: هل سيقوى على البقاء حتى عام 2002؟	جراهام فولر
15.	السياسة الخارجية الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة	دانيال وارنر
16.	التنمية الصناعية المستديمة	ديفيد والاس
17.	التحولات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: التحديات والاحتمالات أمام أوربا وشركائها	فيرنر فاينفلد ويوزيف يانِنج وسفن بيرنيد
18.	جدلية الصراعات العرقية ومشروعات النفط في القوقاز	فيكن تشيتريان
19.	العلاقات الدفاعية والأمنية بين إنجلترا وألمانيا «نظرة تقويمية»	إدوارد فوستر وبيتر شميت

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

20.	اقتصادات الخليج: استراتيجيات النمو في القرن الحادي والعشرين	تحرير: جوليا ديفلين
21.	القيم الإسلامية والقيم الغربية	علي الأمين المزروعي
22.	الشراكة الأوربية - المتوسطية: إطار برشلونة	آر. كيه. رامازاني
23.	رؤية استراتيجية عامة للأوضاع العالمية (2)	إعداد: إيرل تيلفورد
24.	النظرة الآسيوية نحو دول الخليج العربية	كيه. إس. بلاكريشنان جوليوس سيزار بارينياس جاسجيت سنج فيلوثفار كاناجا راجان
25.	سياسة أوربا الخارجية غير المشتركة	فيليب جوردون
26.	سياسة الردع والصراعات الإقليمية المطامح والمغالطات والخيارات الثابتة	كولن جراي
27.	الجرأة والحذر في سياسة تركيا الخارجية	مالك مفتي
28.	العولمة الناقصة: التفكك الإقليمي والليبرالية السلطوية في الشرق الأوسط	يزيد صايغ
29.	العلاقات التركية - الإسرائيلية من منظور الجدل حول الهوية التركية	م. هاكان يافوز
30.	الثورة في الشؤون الاستراتيجية	لورنس فريدمان
31.	الهيمنة السريعة: ثورة حقيقية في الشؤون العسكرية التقنيات والنظم المستخدمة لتحقيق عنصري الصدمة والترويع	هارلان أولمان وجيمس بي. ويد
32.	التيارات السياسية في إيران 1981 - 1997	تأليف: سعيد برزين ترجمة: علاء الرضائي
33.	اتفاقيات المياه في أوسلو 2: تفادي كارثة وشيكة	ألوين روير
34.	السياسة الاقتصادية والمؤسسات والنمو الاقتصادي في عصر العولمة	تيرنس كاسي

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

35. دولة الإمارات العربية المتحدة الوطنية والهوية العربية - الإسلامية — سالي فندلو
36. استقرار عالم القطب الواحد — وليم وولفورث
37. النظام العسكري والسياسي في باكستان — تأليف: إيزابيل كوردونير، ترجمة: عبدالله جمعة الحاج
38. إيران بين الخليج العربي وحوض بحر قزوين الانعكاسات الاستراتيجية والاقتصادية — شيرين هنتر
39. برنامج التسلح النووي الباكستاني نقاط التحول والخيارات النووية — سمينة أحمد
40. تدخل حلف شمال الأطلسي في كوسوفا — ترجمة: الطاهر بوساحية
41. الاحتواء المزدوج وما وراءه: تأملات في الفكر الاستراتيجي الأمريكي — عمرو ثابت
42. الصراع الوطني الممتد والتغير في الخصوبة: الفلسطينيون والإسرائيليون في القرن العشرين — فيليب فرج
43. مفاوضات السلام وديناميكية الصراع العربي - الإسرائيلي — عمرو جمال الدين ثابت
44. نفط الخليج العربي: الإنتاج والأسعار حتى عام 2020 — ديرموت جيتلي
45. انهيار العملية السلمية الفلسطينية - الإسرائيلية: أين الخلل؟ — جيروم سليتر
46. ثورة المعلومات والأمن القومي — تحرير: توماس كوبلاند
47. القانون الدولي والحرب ضد الإرهاب — كريستوفر جرينوود
48. إيران والعراق — تشاس فريمان (الابن) وآخرون
49. إصلاح نظم حقوق الملكية الفكرية في الدول النامية: الانعكاسات والسياسات — طارق علمي ومايا كنعان
50. الأسطورة الخضراء: النمو الاقتصادي وجودة البيئة — ماريان رادتسكي

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

الرقم	العنوان	المؤلف
51.	التصورات العربية لتركيا وانحيازها إلى إسرائيل بين مظالم الأمس ومخاوف اليوم	أوفرا بنجيو وجنسر أوزكان
52.	مستقبل الأيدز: الحصيلة المروعة في روسيا والصين والهند	نيكولاس إيبراشتات
53.	الدور المتغير للمعلومات في الحرب	تحرير: زلمي خليل زاد وجون وايت
54.	مسؤولية الحماية وأزمة العمل الإنساني	جاريث إيفانز ومحمد سحنون وديفيد ريف
55.	الليبرالية وتقويض سيادة الإسلام	عمرو ثابت
56.	الوفاق الهندي - الإسرائيلي	أفرايم إنبار
57.	الفضائيات العربية والسياسة في الشرق الأوسط	محمد زياني
58.	دور تصدير المياه في السياسة الإيرانية الخارجية تجاه مجلس التعاون لدول الخليج العربية	كامران تارمي
59.	أهمية النجاح: الحساسية إزاء الإصابات والحرب في العراق	كريستوفر جيلبي وآخران
60.	الفوز مع الحلفاء: القيمة الاستراتيجية للنموذج الأفغاني	ريتشارد أندريس وآخران
61.	الخروج من العراق: استراتيجيات متنافسة	توماس ماتير
62.	آراء من داخل الشبكة: تأثير المواقع الإلكترونية في الاهتمامات السياسية للشبان	آرثر لوبيا و تاشا فيلبوت
63.	دبلوماسية الصين النفطية في أفريقيا	أيان تايلر
64.	التدخل العسكري والأسلحة النووية: حول المبدأ الأمريكي الجديد بشأن استخدام السلاح النووي	هارالد مولر و شتيفاني زونيوس ترجمة: عدنان عباس علي
65.	العقوبات في السياسة الدولية: نظرة على نتائج الدراسات والأبحاث	بيتر رودولف ترجمة: عدنان عباس علي
66.	اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية	جون ميرشايمر وستيفن والت

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

صدر من سلسلة «دراسات عالمية»

العنوان	المؤلف
77. إعادة التفكير في المصلحة القومية واقعية أمريكية من أجل عالم جديد	كوندوليزا رايس
78. الصين المتغيرة: احتمالات الديمقراطية في الداخل والدبلوماسية الجديدة تجاه "الدول المارقة"	جون ثورنتون وستيفاني كلين-ألبراندت وأندرو سمول
79. التوجه الجديد لليبيا	مولفريد بروت- هيجهامر ورونالد بروس سانت جون
80. أزمة الغذاء العالمية	أليكس إيفانز ويواخيم فون براون وآخرون
81. عهد أوباما سياسة أمريكية للشرق الأوسط	ريتشارد هاس ومارتن أنديك ووالتر راسل ميد
82. اللوبي الهندي والاتفاقية النووية الأمريكية - الهندية	جيسون أ. كيرك
83. وقت الإغلاق: التهديد الإيراني لمضيق هرمز	كيتلين تالماج
84. دور حكام الولايات في السياسة الخارجية الأمريكية	صامويل لوكاس ماكميلان
85. الأزمة المالية العالمية	بن ستيل وستيفن دوناواي
86. شرق أفريقيا: الأمن وإرث الهشاشة	جيلبرت خادياجالا
87. المتعاقدون في الحروب	مارك كانسيان وستيفن شونر
88. الثقافة الاستراتيجية الإيرانية والردع النووي	جنيفر كنيبر وأندرو تيريل

قسيمة اشتراك في سلسلة

«دراسات عالمية»

الاسم :

المؤسسة :

العنوان :

ص. ب : المدينة:

الرمز البريدي:

الدولة:

هاتف : فاكس:

البريد الإلكتروني:

بدء الاشتراك: (من العدد: إلى العدد:

رسوم الاشتراك*

للأفراد:	220 درهماً	60 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات:	440 درهماً	120 دولاراً أمريكياً

- ☐ للاشتراك من داخل الدولة يقبل الدفع النقدي، والشيكات، والحوالات النقدية.
- ☐ للاشتراك من خارج الدولة تقبل فقط الحوالات المصرفية، مع تحمل المشترك تكاليف التحويل.
- ☐ في حالة الحوالة المصرفية، يرجى تحويل قيمة الاشتراك إلى حساب مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية رقم 1950050565- بنك أبوظبي الوطني - فرع الخالدية. ص. ب: 46175أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ☐ يمكن الاشتراك عبر موقعنا على الإنترنت (www.ecssr.ae) باستعمال بطاقتي الائتمان Visa وMaster Card.

لمزيد من المعلومات حول آلية الاشتراك يرجى الاتصال:

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

قسم التوزيع والمعارض

ص.ب: 4567أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 4044445(9712) فاكس: 4044443(9712)

البريد الإلكتروني: books@ecssr.ae

الموقع على الإنترنت: http://www.ecssr.ae

* تشمل رسوم الاشتراك الرسوم البريدية، وتغطي تكلفة اثني عشر عدداً من تاريخ بدء الاشتراك.



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص.ب: 4567 - أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 4044541 -2- 971 - فاكس: 4044542 -2- 971

E-mail: pubdis@ecssr.ae

Website: http://www.ecssr.ae

ISSN 1682 - 1211

ISBN 978-9948-14-226-3

